

المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة «عصر الفارابي»

د. نقولا زياردة

المقدمة

(١)

يكاد يجمع الباحثون المحدثون (١) ، استنادا الى الروايات التي وصلتنا من القدامى (٢) ، فيما يتعلق بحياة الفارابي ، على الامور الاتية :

اولا - ان الذي نعرفه عن حياة هذا الفيلسوف ، بالنسبة الى مكانته العلمية واثره في تطور الفكر العربي الاسلامي ، ضئيل جدا . فالرجل لم يخلف لنا ترجمة لحياته ، والذي رواه القدامى ضئيل جدا .

ثانيا - اسمه محمد وتنيته ابو نصر ولقبه الفارابي . اما تسلسل اسماء ابائه ففيه خلاف .

ثالثا - ولد في مدينة وسيح (٣) من اعمال فاراب ، ومن هنا جاء لقبه . فهو تركي عنصرا .

رابعا - توفي الفارابي في دمشق سنة ٣٣٩ (٩٥٠ - ٩٥١) وقد ناهز ثمانين سنة ، فيكون مولده اذن حول سنة ٢٥٩ (٨٧٢ - ٨٧٣) .

خامسا - ان الفارابي دخل بغداد حول سنة ٣١٠ هـ ، وكان يومئذ يناهز الخمسين (٤) .

سادسا - قضى الفارابي نحو عشرين سنة في بغداد ، وفيها وضع اكثر كتبه ، وانتقل سنة ٣٣٠ (٩٤١ - ٩٤٢) الى بلاط سيف الدولة الحمداني . ومن ذلك الوقت ، الى حين وفاته ، كان كثير التنقل والسفر . فزار مصر (؟) ودمشق وغيرها .

* بحث مقدم الى مهرجان الفارابي ببغداد .

سابعا - كان الفارابي يعيش عالمه الخاص ، بعيدا عن الاضواء . فلا اتصل ببلاط ، ولا عمل عند سلطان .

وهذا القليل يترك امامنا مجالا لعدد كبير من الاسئلة :

١ - ما الذي تعلمه الفارابي قبل دخوله بغداد واين تعلمه ؟ فالذي يجمع عليه قدامى الرواة انه دخل بغداد وهو يعرف التركية والفارسية . ثم يختلفون في قضية معرفته للعربية . فهل تعلمها في بغداد ام انه اتقنها في العاصمة العباسية ؟ ليس من المعقول ان يعيش الفارابي خمسين سنة دون ان يثقف نفسه ، والرجل لم يدخل بغداد الا وقد اتصل بالكثير من شؤون المعرفة . والمعرفة ، في ذلك الوقت ، كانت العربية سبيل الحصول عليها . فنحن نأخذ بالرأي القائل بان الرجل كان يعرف العربية متعلما قبل دخوله بغداد ، ولكن الذي تم له في العاصمة العباسية هو اتقان العربية لاستعمالها معلما ومؤلعا . وثمة فرق بين الامرين .

٢ - هل من الممكن تحديد الاماكن التي استقى فيها الفارابي معارفه قبل وصوله بغداد ؟ اذا كان الفارابي ولد في فاراب في حوض نهر سيحون (سرداريا) ، وتنقل حتى وصل بغداد ، فالمنطقة التي تنقل فيها تشمل رقعة واسعة تمتد من بلده ، عبر ما وراء النهر وفارس . وقد كان في هذه الرقعة مدن مختلفة فيها مدارس وشيوخ ومدرسون .

٣ - من هم شيوخ الفارابي واساتذته في هذه المنطقة وفترة العقود الاولى من حياته ؟ ولا شك ان الاجابة على هذا السؤال صعبة ، ان لم تكن مستحيلة ، على اساس ما بين ايدينا من المصادر .

وفي سبيل محاولة توضيح بعض الامور المتعلقة بالسؤال الثاني اولا ، والسؤال الاول ثانيا ، نود ان ندرس عصر الفارابي زمانا ومكانا ، اي من ناحيتيه التاريخية والجغرافية . ونحن نستطيع القراء العذر ان نحن اطلنا في ذلك . اذ لابد من التعرف الى المنطقة والفترة والمجتمع (او المجتمعات) التي عاصرها الفارابي ، ولا نشك في انه اتصل بها .

ولنبادر الى القول بان المنطقة التي تعيننا بشكل خاص بادىء بدء هي التي سماها الجغرافيون العرب ما وراء النهر وخراسان ، والتي تضم اليوم جمهوريات ازبكستان وتركمنستان وخرزكستان في الاتحاد السوفيتي ، والجزء الغربي من افغانستان ، والجزء الشرقي من ايران .

القسم الاول

(٢)

تكون المنطقة التي حددنا رقعة اتصال بين الشرق (الصين والهند) والغرب (من ايران الى البحر المتوسط) وبين الشمال ، حيث كانت تقوم قبائل رحل، متنقلة هي التي اطلق عليها الترك والمغول (وثمة اجزاء منها لا تزال كذلك) والجنوب الذي غلبت عليه ، منذ الاف السنين ، حياة مستقرة مدنية . واذا كان سكان الشمال يعتمدون الرعي اساسا لمعيشتهم ، فقد كان سكان الجنوب يتركزون على الزراعة في ذلك . وقد كان لكل من الفريقين صناعاته الخاصة به .

وبسبب من وقوع هذه المنطقة في مركز الاتصال ، فقد كانت دوما على الطريق ، وكانت التجارة تعبرها من جميع الجهات . ومع التجارة كانت تنتقل عناصر حضارية مختلفة .

الا ان التجارة لم تكن السبيل الوحيد لنقل العناصر الحضارية . ذلك ان الدول والامبراطوريات التي قامت في الرقعة الكبيرة الممتدة من البحر المتوسط الى تخوم هندكوش والباير ، ومن الخليج العربي الى بحري قزوین (الخزر) وآرال ، هذه الدول والامبراطوريات كانت عاملا قويا في توسيع رقعة الحضارة ، حتى قبل قيام الدولة العربية الاسلامية .

ولسنا نريد أن نوغل في مجاهل التاريخ القديم جدا ، اذ لا حاجة بنا الى ذلك . والذي نريد أن نفعله هنا هو أن نضع امام القارئ جدولا تاريخيا بالدول التي كان لها تأثير في المنطقة ، ثم ننتقل بعد ذلك الى تتبع ما عرفته المنطقة من تطور حضاري نتيجة لقيام هذه الدول وما حملته معها الى المنطقة ومنها .

١ - والدولة الاولى الحرة بعنايتنا هي الامبراطورية الفارسية القديمة التي قامت في اواسط القرن السادس واستمرت الى اواخر الرابع ق.م لما قضى عليها الاسكندر . وقد شملت رقعة هذه الدولة ايران الحالية وجزءا من افغانستان اليوم ومنطقة ما وراء النهر (نهر جيحون او اموداريا) ، هذا فضلا عن ان هذه الدولة شملت ارض الرافدين وديار الشام ووادي النيل غربا .

٢ - توغل الاسكندر ، بعد قضائه على امبراطورية الفرس ، في منطقة ما وراء النهر (٣٣٠ - ٣٣٧ ق.م) وكان من جراء ذلك أن ضمت تلك الارحاء القاصية الى

امبراطوريته ، التي توزعها بعده خلفاؤه ، فكانت المنطقة التي يهنا امرها الان جزءا من الامبراطورية التي اقامها سلوقس سنة ٣١٢ ق.م ، بعد نزاع طال امده بين خلفاء الاسكندر ، والتي امتدت من المتوسط الى حدود الهند . الا ان هذه الامبراطورية الواسعة خرج عنها ، مما يهنا امره ، جزءان ، أولهما بارثيا (او فرثيا) التي نشأت عنها دولة الفرثيين القوية (٢٥٠ ق.م - الى ٢٢٦ م) والتي حكمت اخيرا ايران وبلاد الرافدين وكانت عاصمتها اصرلانيسا (هيكاتومبوليس ؟) واخيرا ضمت دولتهم منطقة الصفد من ما وراء النهر . وانتقلت العاصمة فيما بعد الى مكان على مقربة من المدائن . اما الجزء الثاني فقد كان بكتريا ، التي ظلت اغريقية عرشا وادارة ، التي شملت المنطقة الممتدة من مرو الى البامير ومن سمرقند الى هندكوش . وهذه الدولة ظهرت ايضا سنة ٢٥٠ ق.م الا ان امرها انتهى حول سنة ١٤٠ ق.م . وكانت بكتريا (بلخ) عاصمة هذه الدولة .

(٣) كان الدور الان للمنطقة الشمالية الشرقية التي دفعت بجماعات من رعاتها المعروفين باسم يوي - تشي (Yue-che) جنوبا ، وكان نتيجة هذه التحركات المتتابعة القضاء على دولة بكتريا حول سنة ١٤٠ ق.م ومع توزع هذه الجماعات في جهات مختلفة قامت دولة كوشان التي بلغت ذروتها في القرنين الاولين للميلاد ، وكان اكبر ملوكها كاشنكا (١٢٠ - ١٤٠ م) .

(٤) بين سنتي ٢٢٦ و ٦٤٢ م سيطرت الدولة الساسانية على المنطقة الممتدة من ارض الرافدين الى حدود افغانستان ونهر سيحون (سرداريا) . وقد قام الهطل (Hephthalites) ، وهم قبائل من الترك والمغول الشرقيين بالهجوم على الجزء الشرقي من الامبراطورية واسسوا لانفسهم دولة على شيء من المنعة (اواسط القرن الخامس) الا ان جماعة من الاثراك الغربيين هاجمتهم من الشمال ، والساسانيين اعدوا عليهم الكرة من الغرب ، فقصوا عليهم . لكن الاثراك الان اقاموا لانفسهم ملكا فيما وراء النهر .

هذه هي التجربة التاريخية العسكرية السياسية التي مرت على المنطقة المعني بها الان في الاثني عشر قرنا التي سبقت الفتح العربي لتلك الجهات (٥) .

(٢)

الا ان المهم ليس ما تم هناك من حروب وقتال وقيام دول وذهابها ومعااهدات ومحالفات . المهم في رأينا هو التجربة الحضارية التي عرفتھا المنطقة في هذا الزمن المديد . وهذا ما نود ان نعرض له الساعة .

اولا : تذكر النقوش التي خلفها دارا الكبير على المباني التي شادها في سوسة عاصمة ملكه على انه جلب الذهب من بكتريا واللازورد والعقيق الاحمر من بلاد الصغد والفيروز من خوارزم . وهذا دليل واحد فقط على مدى الاهتمام بالتجارة - ونقصد التجارة البرية الشرقية - الذي نجده عند الفرس القدماء . وكان معنى ذلك الاهتمام بالطرق ايضا . ففي حدود الامبراطورية نفسها كان ثمة « الطريق الملكي » الممتد من افسس ، في غرب اسية الصغرى ، الى سوسة والذي بلغ طوله نحو ٢٥٠٠ من الكيلومترات ، والطريق الاطول الذي كان يصل بابل بهمدان (اكبتانا) وكابل (هذا بالاضافة الى طرق ثانوية) والطريقان الرئيسيان كانا يصلان الامبراطورية الفارسية بالطرق الشرقية الى الهند من جهة ، والى مناطق حوض تاريم (والصين) . وكانت السلطة المركزية ، على الاقل في ايام بعض ملوك تلك الاسرة ، قوية منظمة : فقد كان ثمة مفتشون ينتقلون الى الولايات المختلفة للاطلاع على الادارة والمحافظة على الطرق ومراقبة الاعمال والمشاريع المختلفة .

وحرى بالذكر ان التجارة الخارجية الفارسية - شرقا وشمالا - كانت واسعة ومنوعة . فالتاجر المختلفة كالخيول والجمال والابقار والصوف والجلود كانت تصل ايران عبر المنطقة التي يعيننا امرها . ولعل النحاس واموارا اخرى كانت تنقل من ايران الى المنطقة المذكورة . ومن المرجح ان الحرير كان معروفا في ايران في القرن الخامس ق.م . ومعنى هذا وجود تبادل تجاري مع الصين .

ثانيا : كان ثمة اهتمام بالمشاريع الزراعية . ولعل اهم ما نقله الفرس القدامى الى شرق الامبراطورية وولاياتها الشرقية الشمالية هي القنى المحفورة في جوف الارض (وتسمى واحدها قناة او كارز) . وهذه القنى ، فضلا عن انها قد تنقل المياه ، فانها تسمح للتربة الكلسية ان ترشح المياه منها بشكل بطيء ثم تتجمع ، او تنضم الى المياه الاخرى ، وتصبح كسبا للزراعة والزرع .

يضاف الى ذلك ان الامبراطورية القديمة قامت بدور انتقال النباتات من الشرق الى الغرب . ومع ان القضية لم تدرس بشكلها النهائي ، فان الباحثين يؤكدون مثلا على ان الدراق والمشمش وصلا الاصقاع الايرانية ، في طريق انتقالهما من الصين ، في ايام دارا الكبير . ويبدو ان الارز وصل حتى بلاد الشام قبل وصول حملة الاسكندر اليها ، وان نقله من مشارف الهند الى هذه المناطق هو من عمل الامبراطورية ، كما ان انتاج الفستق نقل الى حلب ، والسهم حملت زراعته الى مصر . ولعل الدجاجة والطاووس يعود وصولهما الى الغرب الى هذه الامبراطورية .

ومما هو هام جدا هو أن الفرس القدماء نقلوا عن مملكة ليديا (في اسية الصغرى) سك النقود . وهذا الامر اتاح لهم ادخال عنصر النقد في الاقتصاد ، سواء كان ذلك في دفع الضرائب ام في التبادل التجاري . وهذا ، بدوره ، شجع الصيرفة . ومما هو جدير بالاهتمام هو ان الامبراطورية الفارسية القديمة ، باتصالاتها التجارية المختلفة الاتجاهات والنشاطات ، شجعت لا التجارة في السلع الثمينة فحسب - مثل البخور العربي والحرير الصيني والكتان المصري والبهارات والطيوب الهندية - بل انها فتحت الابواب الواسعة امام المتاجرة في الاشياء التي يحتاج اليها الناس عادة مثل الحبوب والاقمشة الرخيصة والفخار (٦) .

ثالثا : كان احتلال الاسكندر للمنطقة التي تعيننا وقيام دولة يونانية - بكترية ودولة سلوقية ، مدعاة لانتقال الحضارة اليونانية وما فيها من اراء وفنون الى تلك المنطقة . ولا بد من ان نذكر ان الاسكندر انشأ عددا من المدن في الجهات التي فتحها منها الاسكندرية في اريانا (اريجانا) (هراة فيما بعد) والاسكندرية التي اقامها على نهر سيحون (سرداريا او جكسارتس) . وتبع خلفاؤه سنته في انشاء المدن . وقد ذكر بارتولد ان المدن التي حملت اسماء الاسكندر وانطيوخوس وسلوقس وغيرهم كثيرة . فهناك انطاكية شمالي سرداريا (سيحون) ومدينتان بنفس الاسم في حوض مرغاب وهما اللتان أصبح اسمهما فيما بعد مرو الروذ ومرو الشاهجان (٧) . وهذه المدن كان سكانها يتألفون - بالاضافة الى من قد يقطنها من اهل البلاد الاصليين - من اليونانيين الذين كانوا يرافقون الجيوش اليونانية (ايام الاسكندر وخلفائه) والجماعات اليونانية التي نقلها الاسكندر من مصر واسية الصغرى الى تلك الجهات ومن التجار اليونان الذين ساروا على خطى رجال الحرب ليفيدوا من وجودهم هناك . وفي ايام الدولة الساسانية كان الاسرى من الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) يوزعون على المدن هذه وغيرها .

في هذه المدن الحديثة ، وفي سواها من المدن القديمة ، تطورت الصناعات بدافع مما حملته الحضارة الهلينية الى تلك الجهات . واصبح الفن تظهر فيه مؤثرات يونانية ، حتى في بلاد ما وراء النهر (٨) .

رابعا : نعرف من رحلة تشانغ تشين (Chang Ch'ien) التي قام بها في عهد دوستي امبراطور الصين (١٤٠ - ٨٧ ق.م) ومن الحملات التي ارسلها هذا الملك لتأمين الحصول على خيول فرغانة اللازمة لجيوشه امورا اهمها : ان الاتصال بين الصين الشمالية وشمال ايران كان معروفا وان كان الطريق غير مضمون دائما . وهذا الطريق كان يبدأ من شمال الصين وبعد ان يجتاز مدينة انسي كان يتفرع

الى طريق شمالي واخر جنوبي . وهذا كان ضروريا لتجنب صحراء تكلا مكان . فالشمالي كان يمر بواحات اهمها طرفان وكوشا حتى يصل كشغر ، والجنوبي كان يمر براحت نيا وخوطان ويركند الى كشغر . اما التفرع بعد كشغر الى الغرب فكان يصل الى الكثير من مدن ايران وارض الرافدين . وهذا الطريق ، مع زيادة في المراكز والمحطات ، واهتمام اصحاب الامر به ، ظل المحور الرئيسي للتجارة بين الصين وما وراء النهر وخراسان حتى مطلع القرون الحديثة (٩) .

خامسا : في ايام الدولة الفرثية ظهرت امور هامة تتعلق بالكتابة والادب كان لها تأثير في الحياة الثقافية في المنطقة . فقد كانت الارامية مستعملة في الامبراطورية الفارسية القديمة منذ القرن الخامس ق.م ، الى جانب كتابة ايرانية حروفها مأخوذة عن الارامية (اما مباشرة او بالوساطة) . مع مجيء الاسكندر واليونان انتشرت اللغة اليونانية (والقانون اليوناني) في كثير من المدن . واستمرت اللغة اليونانية لغة رسمية ، للنقوش والنقود وغير ذلك ، في ايام الفرثيين . ومن هنا كان ثمة اثر يوناني مباشر في الحياة الادبية . واذا تذكرنا ان الزرادشتية يعود ظهورها الى ايام هذه الدولة ، كان معنى هذا تمازج في الادب الدينية المعروفة والمتلاحمة في تلك المنطقة ، البوذية والزرادشتية والاساطير اليونانية واخبار الابطال الاسطوريين من شمال ايران نفسها وغيرها . وكل هذا كان ينقله الشاعر - المغني (١٠) .

سادسا : في ايام دولة بني ساسان كان ثمة احياء وتقوية وتنظيم للتجارة عن طريق تحسين الطرق القديمة وزيادة الخانات (الفنادق) في الطرق والعناية بالابار وتجميع المياه واقامة مراكز التعشير اي المراكز الجمركية . فضلا عن ان الساسانيين وضعوا حدا ، ولو مؤقتا ، للهجوم الشمالي وبذلك حافظوا على الامن ، وهذا يسر للتجارة الجو المناسب (١١) .

وما دمننا نشير الى العمران الساساني ، فلنذكر ان اردشير وشابور ، وهما اول ملكين من الاسرة الجديدة ، كانا شديدي الاهتمام بتمصير المدن . وقد عدد فراي سبعا وثلاثين مدينة في الامبراطورية الساسانية بنيت او عمرت او وسعت او اصلحت او سورت في عهدهما (١٢) . وكان الملك الثاني ، شابور ، قد انتصر على الرومان مرات ، وكان يبعث بالاسرى لاستيطان المدن والاهتمام بها عمارة وفنا وتسويرا .

سابعا : يبدو ان البوذية وصلت الصين في القرن الاول الميلادي ، وزاد انتشارها مع الزمن ، بحيث ان الكثرة من السكان كانت ، في القرن الرابع ، تدين بالبوذية . وقد ظل اتباعها يعتبرون الهند المحجة الروحية لهم . ولا بد ان كثيرين من بوذي

الصين زاروا الهند للتزود بالكتب المخطوطة واثار كبار البوذيين ، لكن الزمن حفظ لنا روايتين لرحالين صينيين زارا الهند . اولهما فا - هسين (Fa-hsien) الذي بدأ رحلته سنة ٣٩٩ م والثاني هو هسوان - تسانغ (Hsuan-tsang) الذي بدأ برحلته سنة ٦٣١ م . ولسنا ننوي هنا ان نتابع هذين الرحالين في تنقلهما ، فذلك امر يطول ، ولكننا نود ان نشير الى بضعة امور مرتبطة بالحياة الثقافية في المنطقة التي نعنى بها الان (١٣) .

فمن ذلك ان المدارس التي تعنى بتعليم البوذية كانت متعددة ، ولم تقتصر على التعليم الديني بل كانت مراكز للرياضيات والفلك . وكانت الثقافة السنسكريتية عميقة الجذور في اماكن مختلفة (اوديانا في الهند وكوشا وكشغر) . وكان سكان خوطان يقدرون اهل المعرفة والبحث ويحبون الموسيقى (١٤) .

ويبدو انه كان في بخارى دير - مدرسة (١٥) .

اما الصناعات ، وخاصة ما يتعلق بالاقمشة على اختلاف انواعها وصناعة المعادن ، فقد بلغت حد الإعجاب عند رحالينا .

والذي نود ان نقوله هو ان هذه المنطقة كان قد مر عليها ، منذ قيام الدولة الفارسية الاولى حتى انقضاء دولة الساسانيين تجارب حضارية هياتها للقيام بدور هام كنقطة اتصال بين الصين وتركستان وايران والهند وما يجاور هذه كلها من بلاد وشعوب .

(٤)

نود ان نضع بين ايدي القراء ملاحظ مقتضبة تتعلق بالحياة الفكرية والثقافية في المنطقة . على ان هذا يقتضي ان تحمل امورا تتعلق بغرب ايران وارض الرافدين وبلاد الشام ، اذ ان الكثير مما عرف طريقه الى الشرق والشمال الشرقي من دولة الساسانيين كانت المناطق الغربية نقطة انطلاقه .

اولا : في الفترة الممتدة من القرن الرابع الى اواخر القرن السادس للميلاد كانت للاسكندرية مكانة خاصة في الحياة العلمية ، في الطب والفلسفة والرياضيات ، هذا فضلا عن نواح متعددة من اللاهوت المسيحي . وكان هناك مدرستان تشاركان الاسكندرية شيئا من مكانتها هما انطاكية وغزة . والمتعارف عليه ان المناهج التعليمية في انطاكية كانت ، بدءا من القرن الرابع ، تقليدا للمناهج الاسكندرية .

ثانيا : في القرن الرابع انشئت في نصيبين مدرستها الاولى التي كانت تعنى بالدراسات اللاهوتية . الا انه مما يجب ان يذكر دوما هو ان الدراسات اللاهوتية ، سواء في ذلك النسطورية او اليعقوبية ، كانت تعتمد نواحي من المنطق (والفلسفة) اليوناني في تفاسيرها وتلاحيها وجدلها . ومن ثم فقد كان هناك حركة ترجمة الى اللغة السريانية لما يحتاجه القوم من المنطق والفلسفة عند اليونان . هذه المدرسة مرت بها ، في اواخر القرن الرابع او اوائل القرن الخامس ، فترة ضعف ، بحيث اننا لا نرى الكثير من آثار معلميها العلمية . لكنها عاد اليها نشاطها في اواخر القرن الخامس . وظل علمائها يشتغلون بالامور اللاهوتية والترجمة طوال القرن السادس وحتى الى القرن السابع .

ثالثا : كان في ادسا (الرها) مدرسة تعود الى القرن الرابع . وقد اصبحت هذه المدرسة منذ القرن الخامس مركزا علميا كبيرا لنشر المعرفة بحيث تخرج منها عدد كبير من الاساقفة والادباء والعلماء . وقد كان بعض اساتذة نصيبين قد انتقلوا اليها ايام تفهقر حالة هذه المدرسة الاخيرة . وفي هذه المدرسة ازدهر الادب السرياني من حيث انه ادب ترجمة وادب ديني وادب شعري ونثري فني واسطوري . الا ان هذه المدرسة ، التي كانت نسطورية في مذهبها الديني ، لم يرض عنها الاباطرة البيزنطيون دوما . لذلك امر الامبراطور زينون باغلاقها (٤٨٩) . عندها هاجر اساتذتها الى نصيبين التي كانت تقع في الامبراطورية الساسانية . وتعتبر هجرة هؤلاء بمناسبة احياء فعال لمدرسة نصيبين على ما نجده في قوانينها الجديدة (٤٩٦) . وهذه المدرسة ظلت تقوم بعملها العلمي الكبير حتى القرن السابع للميلاد . ومن هنا كانت الاسقفيات النسطورية المختلفة تزود باساقفتها ، كما كانت المدارس النسطورية في الدولة الساسانية تزود باساتذتها منها . وقد كان في مدرسة نصيبين في اواخر القرن السادس نحو ٨٠٠ تلميذ .

رابعا : ان المنازعات الدينية بين اليعاقبة والنساطرة كانت خيرا على الحركة العلمية في المراكز المختلفة . وكان للنسطرة نشاط تبشيري اقوى في الجهات الشرقية من الامبراطورية الساسانية . فقد كانت مرو منذ اواخر القرن الخامس مركزا لاسقفية نسطورية . وفي سنة ٥٤٠ عين ثيودور (النسطوري) اسقفا (أي مطرانا) لمرو . وكان في مرو اكااديمية علمية دينية ، مع ما يقتضي ذلك من الاهتمام بالعلوم الدنيوية المساعدة للمنطق والفلسفة ، والنافعة كالطب والرياضيات . كذلك كان في كل من سلوقية وحران ومنبج وحمص مدرسة واحدة على الاقل . وقد انتشرت الثقافة اليونانية بين اهل حران حتى ان جيرانهم اطلقوا على مدينتهم اسم « هيلينوبولس » (ومعناه مدينة الهلنيين) ، وكان يقصد بذلك « المدينة الوثنية » .

خامسا : مع ان كسرى (٥٣١ - ٥٧٨) كان يشن الغارات والحروب ضد البيزنطيين ، فقد كان معجبا بالحضارة اليونانية الرومانية ، وكان حريصا كل الحرص على ان يدخلها الى بلاده فهو الذي استضاف سبعة من الفلاسفة اليونان لما اقبل جستنيان مدرسة اثينا سنة ٥٢٩ . (ولكن هؤلاء لم يألوا الجو الجديد ففضلوا العودة الى بلادهم ٥٣٣) . الا ان ذلك لم يحل دون كسرى وتجديد السعي لانشاء اكااديمية يونانية الصبغة على غرار اكااديمية الاسكندرية في بلاده ، وانتهى به الامر الى انشاء اكااديمية جنديسابور . وقد نقل اليها المنهاج الاسكندري في الطب والرياضيات . ولعله من الممكن ان هذا المنهاج قد نقل اما عن مدرسة انطاكية او عن مدرسة حمص ، وكانت كلتاها قد نقلتا منهاج الاسكندرية . على انه ليس ما يمنع من ان يكون النقل قد تم عن طريق العلماء الذين رحلوا من الاسكندرية الى بلاد الشام او ارض الرافدين . وحري بالذكر ان تعليم الطب في جنديسابور كان يقوم على الملاحظة العملية (السريرية) في المستشفى ، على النحو الذي انتشر فيما بعد في الدولة العربية الاسلامية .

سادسا : اشرنا من قبل الى وجود اكااديمية (مدرسة) نسطورية في مرو . ونود ان نشير هنا الى بعض المدن التي وصلتنا اخبارها واخبار مدارسها . فمنها ريشهر وشيز (في اريجانا او اريانا) . ويبدو ان الاولى كان فيها مكتبة ضخمة . وكانت بلخ مركزا دينيا كبيرا للبوذية والزرادشتية ، مع ما يرافق ذلك من اديرة ومدارس ورهبانات وتعليم . وقد كان في مدينة خوارزم وما حولها زرادشتيون ومسيحيون نسطوريون اصلا (وان كان هناك بعض الارثوذكس) وبوذيون . ويرى الباحثون ، مما ذكره البيروني ، ان بقايا قوية من الحضارة الايرانية كانت تتناقل هناك ، وان كنا لم نحصل على آثار مكتوبة لها . وكانت بخارى في ايام الزرادشتيين تعتبر بانها « مثابة العلوم كلها » .



يتضح من هذا العرض المقتضب للتجربة السياسية والحضارية والثقافية التي بلتها المنطقة التي حددناها في مطلع هذا الحديث ، والتي كانت تشمل في المصطلح الجغرافي العربي خراسان (الشرقية) وبلاد ما وراء النهر ، بالمعنى الواسع لهذا التعبير ، انها - على العموم - كانت تفيد من حالات الاستقرار والامن ، فتقوم فيها المدن الكبرى ، وتنشط فيها الزراعة والصناعة والتجارة ، وتعرف الى المنجزات الحضارية التي تصل اليها من الصين والهند والفرس واليونان ، وتتصل بالحركات الفكرية المرتبطة بالاديان التي انتشرت فيها كالبوذية والزرادشتية والمناوية والمسيحية وقد عرفت تيارات متنوعة . ومع انها كانت تتعرض كثيرا الى قيام دول من الشرق والشمال تطغى عليها ، او تهاجمها جماعات من رعاة السهوب الشمالية فتعزل بعض

اجزائها ، الا ان ذلك كله لم يمنع المؤثرات الخارجية ان تتوطن فيها وتنتج فنونا وصناعات محلية متأثرة بالاتي من الخارج (١٦) .

(٥)

لما اتيح للعرب ان يفتحوا تلك البقاع وتستقر لهم دولة ، وينتشر الاسلام في اجزائها ، اصبحت تلك المنطقة جزءا من الدولة العربية الاسلامية ، واتسعت المجالات امامها بحيث استطاعت ان تسهم اسهاما كبيرا في المنجزات الحضارية الجديدة . واصبح اتصالها بالاجزاء الغربية من الدولة الجديدة لا يحول دونها حائل . وعندئذ اصبحت دورها ، كنقطة للاتصال مع الصين والهند ، اوسع مدى وابعد اثرا ، ومضت فيها مدن جديدة ، كما عمرت مدن كانت قد تضررت بسبب الاحداث المنوعة . وهذا هو ما نريد ان ننقل الى الحديث عنه الان .

بعد معركة نهاوند (٦٤٢/٢١) انهارت المقاومة الساسانية المنظمة ، ووجد يزدجرد (الثالث) آخر ملوك بني ساسان نفسه شريدا ، واقتصرت المقاومة للجيش العربية على جيوب محلية ، لكنها لم تكن ، في غالب الاحيان ، شيئا يذكر . وقد تم النصر الاول في خراسان بسبب قيام جيشين عربيين اتجها نحو تلك المنطقة في وقت واحد . ففي سنة ٦٤٩/٢٩ سارت قوة من الكوفة بقيادة واليها سعيد بن العاص متخذة طريق همذان والري قاصدة جرجان وخراسان ، كما خرجت في الوقت نفسه قوة من البصرة بقيادة اميرها عبد الله بن عامر متجهة الى واحة طبرستان عبر فرس وكرمان . وعلى يد هذين القائدين تم الاستيلاء على نيسابور وسرخس وطوس وهراة ومرو . وسار الربيع بن زياد الى سيستان (سجستان) واستولى عليها . ونجح الاحنف بن قيس في فتح بلخ .

الا ان الخلاف الذي نشب في الدولة بين سنتي ٣٥ و ٤٠ (٦٥٦ - ٦٦١) ادى الى التراجع من خراسان وضعف في السيطرة على الامور في تلك الجهات . على انه ما كاد معاوية يتولى الخلافة حتى عاد النشاط هناك الى ما كان عليه . ولما ولي زياد بن ابي سفيان البصرة ، قسم خراسان الى اربعة ارباع سمي كل منها باسم المدينة الرئيسية فيه وهي : نيسابور وبلخ ومرو وهراة . ولما عين عبد الله بن زياد على خراسان عاد التقدم العربي العربي الى سابق زخمه فجازت جيوش العرب نهر جيحون (اموداريا - اكسوس) وغلبوا على حاكم بخارى . وتذكر بعض الروايات ان امرأة تسمى « خاتون » هي التي كانت تحكم المدينة يومها . واستمرت الغزوات

في ما وراء النهر بقيادة مسلم بن زياد (ولي الامر في سنة ٦٨١/٦١) فقاد حملات موفقة ضد خوارزم ، ثم وصل الى سمرقند .

وقد اضطرب امر الفتوح ايام الخلاف بين الخليفة عبد الملك وعبد الله بن الزبير (٦٤ - ٦٨٣/٧٣ - ٦٩٢) لان اثر الخلاف وصل الى القبائل العربية التي استقرت في خراسان . ومع ذلك فقد استولى موسى بن عبد الله على ترمذ على شاطئ جيحون الشمالي . فلما عاد السلام الى الدولة بعث الخليفة المهلب بن ابي صفرة الى خراسان الذي جاز النهر الى كش (شهرساز) ونسف (نخشاب) . ولما توفي المهلب ولي ابنه يزيد مكانه . الا ان العمل الحربي المنظم في بلاد ما وراء النهر تم على يد قتيبة بن مسلم الذي تمكن من فتح المنطقة بشكل منظم ، وارسل الجند العربي في الشاش (طشقند) شمالي نهر سيحون (سرداريا - جاكسارتس) ومنها هاجم اسفيجاب . وفي الوقت ذاته استولى اخوه عبد الرحمن على دولة خوارزم . وقد قضى قتيبة نحبه في تلك الانحاء .

وقد توقف العمل العسكري هناك بعد وفاته ، وبدأت دعوة ابي مسلم تشغل الناس ، كما ان قبيلة من الاتراك تسمى ترغش قامت شمال نهر سيحون وقاومت الفتح العربي ، بل لعلها استرجعت اكثر المناطق الواقعة خلف نهر جيحون . لكن امور ترغش اضطربت ، فلما ولي الامر نصر بن سيار (٧٢٧/١٢٠) استرجع المنطقة وفرض فيها النظام والامن .

وفي الوقت الذي كان ابو مسلم يعد الجيوش في خراسان ضد الامويين ، كانت قوى صينية تقاتل العرب في ما وراء النهر . لكن زياد بن صالح ، الذي تولى الحرب بعد قيام الدولة العباسية نجح في رد هؤلاء على اعقابهم وتغلب عليهم في معركة الطراز الفاصلة (٧٥١/١٣٤) ، بحيث لم يتدخلوا بعدها في شؤون ما وراء النهر . وقد كان من اثار هذه المعركة ان الاسرى الصينيين علموا اهل سمرقند صناعة الورق ، الذي شاع استعماله بعد ذلك بدل الرق والبردي .

على ان مما يلفت النظر ان هذه المنطقة التي نتحدث عنها كان حكام بعض اجزائها اول من انتزعوا السلطة محليا واداروا البلاد ادارة مستقلة ، ولو ان غالبهم ظلوا يعترفون بخلافة بغداد ولو اسميا .

وكان اول من اسس واحدة من هذه الدول طاهر بن الحسين الذي كان قائد جيش المأمون في خلافه مع اخيه الامين . فلما انتصر المأمون ولاه خراسان فانفرد بامرها . وحكمت هذه الدولة من سنة ٢٠٥ الى ٢٥٩ (٨٢١ - ٨٧٣) . وكانت

العاصمة اولا مرو ، لكنهم نقلوها فيما بعد الى نيسابور . وقد قلد الامراء الطاهريون عاصمة الخلافة فاتخذوا لهم بلاطا وشجعوا العلماء والشعراء .
وثمة دولة اخرى انشأها يعقوب بن ليث الصفار (٨٦٧/٢٥٣) في سجستان ودام امرها الى ٢٩٨ (٩١١) اذ استولى عليها السامانيون . اما ما حدث لامرائها بعد ذلك فليس يعني امره من الناحية السياسية . الا ان هؤلاء القوم كان منهم من عني بالعلم والعلماء واشهرهم خلف بن احمد الملقب بولي الدولة (٣٥٢ - ٩٦٣/٣٩٣) .

على ان اهم الدول التي قامت في المنطقة التي نغنيها هي الدولة السامانية (٢٠٤ - ٨١٩/٣٩٥ - ١٠٠٥) . وكانت بخارى عاصمتهم مركز طرق القوافل الاسيوية ، وكعبة للعلم في تلك الديار .

لسنا نود ان نؤرخ للدول التي قامت في ظلال الخلافة العباسية ، فليس ذلك مما نغني به الان . ولكن لابد من الاشارة الى دولة الحمدانيين وذلك لارتباط سيف الدولة بحياة الفارابي . والدولة الحمدانية كانت في الموصل اصلا ، لكن الذي يهمننا منها هو اقامتها في حلب (٣٣٣ - ٩٤٥/٣٩٤ - ١٠٠٤) (١٧) .

القسم الثاني

ملاحظ تمهيدية

(٦)

قبل ان ننتقل الى وصف المنطقة جغرافيا واقتصاديا على ما كانت عليه في عصر الفارابي ، نود ان نضع النقاط التالية امام القراء .

اولا : الصورة التي ننوي ان نقلها الان منتزعة اصلا من ثلاثة من الجغرافيين البلدانين العرب وهم ، على ترتيب الزمن الذي صنفوا فيه ، الاصطخري صاحب كتاب « المسالك والممالك » (كتب بين ٣١٨ و ٩٣٠/٣٢١ و ٩٣٣) وابن حوقل ، الذي وضع « صورة الارض » (الف كتابه في النصف الاول من القرن الرابع/العاشر) والمقدسي مؤلف « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » (٩٨٣/٣٧٥) . الا اننا لن نغفل اولئك الذين سبقوهم من المسالكيين مثل ابن خرداذبه (تو حول ٢٧٢/٨٨٥) واليعقوبي (تو حول ٢٨٨/٨٩١) وابن رسته (تو بعد ٢٩٠/٩٠٣) وقدامة بن جعفر (تو بعد ٩٢٢/٣١٠) .

ثانيا : من الواضح ان ابن حوقل والمقدسي توفيا بعد الفارابي ، لكن المعلومات التي يقدمانها لنا فيها ما يعكس العقود الاولى من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) ، اي انها معاصرة لبعض عقود من حياة المعلم الثاني .

ثالثا : الغاية من تفصيل الصورة الجغرافية الاقتصادية هو توضيح المنطقة التي ولد فيها الفارابي وعاش قبل ان يدخل بغداد . وسنرى ان مدنا كثيرة من هذه المنطقة كانت غنية ، اذ احتفظت بالكثير من التقاليد الزراعية والتجارية والصناعية القديمة التي سارت الى الامام حين استقرت امور الدولة العربية الاسلامية . كما ان هذه المدن احتفظت بتقاليدها من حيث الاهتمام بالعلم والثقافة ، وان كانت هذه ، بطبيعة الحال ، قد صبغت بالصبغة العربية الاسلامية ، بسبب انتشار الاسلام هناك .

رابعا : ستمر بنا ، في هذه الوصف الجغرافي ، فيما يتعلق بالمدن المذكورة هناك ، ان بعضا من تلك المدن الكبرى كانت تتكون ، من حيث طوبوغرافيتها ، من الاقسام التالية : المدينة والقهندز (القلعة) والربض . والاول هو المدينة الداخلية ، والثاني حصن المكان وقلعته والثالث ما يحيط بالاثنتين (غالبا) ، وهو ضواحي المدينة . وقد يكون للمدينة سورها الخاص والقهندز سور خاص ، وقد يحيط بالمدينة والقهندز والربض سور خارجي . وثمة عناصر ثلاثة هامة توجد في المدن وهي المسجد الجامع ودار الامارة (في الحواضر) والحبس . وهذه تكون في المدينة غالبا ، لكن الحبس قد يكون داخل دار الامارة (١٨) .

خامسا : البلدانون الثلاثة لا يتفوقون تماما على تحديد كل من خراسان وما وراء النهر . فالاصطخري وابن حوقل يعتبران بلاد الختل من خراسان (١٩) . فيما يعتبر المقدسي المنطقة كلها (اي خراسان وما وراء النهر) اقليما واحدا . يسميه اقليم المشرق ، ويقسمه الى قسمين ، جانب هيطل (الختل) وجانب خراسان (٢٠) اما نحن فسنحدث هنا عن المنطقة تحت عنوانين اولهما يتناول خراسان ، وثانيهما يتناول ما وراء النهر . وتجنبنا للتكرار لن نعدد ما يدخل في كل منهما الا ان لکننا سنوفي ذلك حقه عندما نصل اليه .

خراسان في عصر الفارابي

(٧)

كانت خراسان في أيام ابن حوقل لال سامان ، وكان فيها ثلاثون عملا ونيف ، « وكل عمل منها لا يخلو من فاض وصاحب بريد وبندار وصاحب معونة . هذا الى

غير عمل من اعمالها فيه قضاة يتصرفون عن قاضي الناحية التي هو بها ، واصحاب اخبار وبرد ينهون اخبارهم الى صاحب ناحيتهم ، وجباة للخراج ... واعظم هذه النواحي منزلة واكثرها جيشا وشحنة واجلها منزلة وجباية نيسابور ومرو وبلخ وهرات . (٢١) وهذا التعيين يتفق مع ما مر بنا من ان خراسان قسمت اربعة ارباع ، كل ربع فيها سمي باسم المدينة الرئيسة فيه .

« ونيسابور (٢٢) مدينة في ارض سهلة ابنتها من طين وهي كانت مفترشة البناء نحو فرسخ مثله ولها مدينة وقهندز وربض ، وقهندزها وربضها عامران ومسجد جامعها في ربضها بمكان يعرف بالمعسكر . ودار الامارة بمكان يعرف بميدان الحسين والحبس عند دارة الامارة . وبين الحبس ودار الامارة وبين المسجد الجامع نحو ربع فرسخ ، ودار الامارة بها من بناء العاتي عمرو بن الليث ، ولقهندزها بابان وللمدينة اربعة ابواب ، فاما اسواقها سوقان : احدهما تعرف بالربعة الكبيرة والاخرى بالربعة الصغيرة ... وفي خلال هذه الاسواق خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات ، وفيها الخابرات للبيع والشري . فيقصد كل فندق بما يعلم انه يقبل على اهله من انواع التجارة . وقل فندق منها لا يضاهي اكابر اسواق ذوي جنسه . ويسكن هذه الفنادق اهل اليسار ممن في ذلك الطريق من التجارة ، واهل البضائع الكبار والاموال الفزار . ولغير المياسير فنادق وخانات يسكنها اهل المهن وازباب الصنائع بالدكاكين العمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع : كالقلانسبيين في سوقهم غير فندق فيه الحوانيت والحجر الملووة بهم ، وكذلك الاساكفة والخرازون والحبالون الى غير ذلك في اضعاف اسواقهم الفنادق الملووة بذوي الصنائع منهم . واما فنادق البزازين وخابراتهم بها وبيعهم فيها وشراهم فاكثر البلدان يشركهم في ذلك ولا يقصرون عنهم . وشرب البلد ومياهه فاكثره من قنى تجري تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم ، ومنها قنى تظهر في البلد وتجري في دورهم وبساتينهم بقصة نيسابور . ولهم نهر كبير يعرف بوادي سفارذ ويجتمع اليه كثير من قنى البلد فيسقى منه بعض اجنة البلد ورساتيق كثيرة . وعلى هذا الوادي قوام وحفظة عليه وعلى قنيهم في عمق الارض ، وربما كان منها شيء بينه وبين وجه الارض مائة درجة ، ويزيد وينقص في نفس نيسابور . وليس بخراسان مدينة اصح هواء وافصح قضاء واشد عمارة وادوم تجارة واكثر سابلة واعظم قافلة من نيسابور . ويرفع عنها من اصناف البز وفاخر ثياب القطن والقز ما ينقل الى سائر بلدان الاسلام ، وبعض بلدان الشرك لكثرت وجودته ، لا يثار الملوك والرؤساء لكسوته اذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهريته ولا يشاكله لرفعته وخاصيته ...

ولنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة وفي ضمنها مدن معروفة .

وكانت دار الامارة بخراسان في قديم الايام بمر وبلخ الى ايام الطاهرية فانهم نقلوها الى نيسابور ، فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت اموالها عند توطنهم اياها وقطونهم بها ، حتى انتابها الكتاب والادباء بمقامهم بها وطرا اليها العلماء والفقهاء عند ايثارهم لها ، وقد خرجت نيسابور من العلماء كثرة ونشأ بها على مر الايام من الفقهاء من شهر اسمه وسمق قدره وعلا ذكره .

« ومدينة مرو قديمة تعرف بمر والشاهجان اذلية البناء . وهي في ارض مستوية بعيدة من الجبال فلا يرى منها جبل بالقرب وليس في شيء من حدودها جبل . وارضها سبخة كثيرة الرمال وابنتها من طين . فيها ثلاثة مساجد للجمعات فاما اول مسجد اقيمت فيه الجمعة فمسجد بني داخل المدينة في اول الاسلام ، فلما كثر الاسلام بني المسجد المعروف بالمسجد العتيق على باب المدينة ويصلي فيه اصحاب الحديث ، وبني من بعد ذلك المسجد الذي على ماجان . ويقال ان ذلك المسجد والسوق ودار الامارة من بناء ابي مسلم . ودار الامارة على ظهر هذا المسجد . وفي هذه الدار قبة بناها ابو مسلم كان يجلس فيها وفيها يجلس امراء مرو (٢٣) . وبها قهندز خراب ومقداره مقدار مدينة وهو مرتفع وقد سبقت اليه قناة ماء يجري فيه الى يومنا هذا ، وربما زرع عليها مياقل ومياطخ وغير ذلك . فاما اسواقها فعلى قديم الايام كانت على باب المدينة جنب الجامع ، فنقلها ابو مسلم الى ماجان . وهي من انظف الاسواق واوجدها لسائر ما يحتاج اليه من ليل ونهار . ومصلى العيد في محلة رأس الميدان في مربعة ابي الجهم ويطوف به من جميع جوانبه ونواحيه البنيان والعمارات . . والبلد ارباع معروفة الحدود ولارباعه انهار معروفة فمنها نهر هرمزرة وهو نهر عليه ابنية كثيرة من البلد وهو مما يلي سرخس . وللمدينة الداخلة اربعة ابواب ...

« ولمرو نهر عظيم تتشعب هذه الانهار منه وانهار الرساتيق عنه ومبتداه من وراء الباميان ، ويعرف بنهر مرغاب . . ومجرى هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعهم . . ومقاسم الماء من زرق قرية بها مقسم ماء مرو . وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها الواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك احد يزيد فيها ولا ينقص ، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار ان زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وان نقص نقصوا باجمعهم لا ايثار لقوم على قوم . ومتولي هذا الماء امير مفرد وهو اجل من والي المعونة بمر و . وبلغني انه يرتزق على هذا الماء زيادة على عشرة آلاف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل .

وكانت مرو معسكر الاسلام في اول الاسلام ومنها استقامت مملكة فارس

للمسلمين ... ويرتفع من مرو الابرسم والقز الكثير ، ويقال ان اصل الابرسم بجرجان وطبرستان على قديم الايام وقع من مرو . ومنها يرتفع القطن الذي ينسب في سائر الاقطان اليها جودته وهو الغاية في اللين ، والشباب التي تجهز منها الى كثير من البلاد . ولها منابر مضافة اليها وبرسمها . وبالسوسقان منبر وهذه منابر مضافة اليها ومدنها القريبة منها .

واما هراة فهو اسم المدينة وكان عليها حصار وثيق ، وخارجها وداخلها مياه ومن داخلها القهنذر ، ولها ريش والمسجد الجامع بها ودار الامارة خارج الحصن بمكان يعرف بخراسان اباذ منقطع عن المدينة . وبينها وبين المدينة نحو ثلث فرسخ على طريق بوسنج من غربي هراة ، وبنائها من طين . والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله وكان لمدينتها الداخلية اربعة ابواب ... وعلى كل باب سوق وفي داخل المدينة والريش مياه جارية . وللحصن اربعة ابواب بحذاء كل باب من ابواب المدينة باب لهذا الحصن . وخارج الحصن جدار يطوف بالحصن كله أطول من قامة وكان بينهما اكثر من ثلاثين خطوة . والمسجد الجامع في المدينة وحوايه الاسواق والسجن على ظهر قبلة مسجد الجامع ، وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجال مسجد عمر بالناس على دوام الايام من مسجد هراة ومسجد بلخ واليه مسجد سجستان ، فان بهذه المساجد كثرة من الفقهاء وزحمة من ارباب القرآن على رسم الشام والثغور . وهي فرضة لخراسان وسجستان وفارس .

« والجبل من هراة على فرسخين على طريق بلخ ، ومحتطبهم من مفازة بينهم وبين اسفزار وليس لهذا الجبل محتطب ولا مرعى وانما يرتفقون منه بالحجارة للارحية والفرش وما اشبه ذلك وعلى رأس هذا الجبل بيت نار يدعى سرشك وهو معمور ، وبينه وبين المدينة بيعة للنصارى وليس بينها وبين المدينة مياه ولا بساتين سوى نهر المدينة ، على باب المدينة ، فاذا عبرت القنطرة لم تر بعدها ماء ولا خضرة الى البلد . وعلى سائر الابواب والجهات مياه جارية وبساتين ..

« واكبر مدينة بنواحي هراة بعد هراة كروخ واوفه ، ويرتفع من كروخ الكشمش المجلوب الى الافاق والزيب الطائفي المحمول الى العراق وسائر البلاد ومعظمه يرتفع من مالن . وكروخ مدينة قصدة واهلها شرارة .. وبنائها من طين وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والفياض والقرى العامرة . واوفه اهل جماعة وهي نحو كروخ في القدر ، ولها بساتين ومياه وبنائها من طين ايضا . ومالن اصغر من كروخ وهي ايضا مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والكروم عامرة . وخيسار قليلة الاشجار والمياه ،

وهي اصغر من مالن واهلها اهل جماعة . واستريبان اهلها خوارج وهي اصغر من مالن ، ولها مياه وبساتينهم قليلة والغالب عليهم في غلاتهم الزروع دون الكروم وهي في جبال وعرة . وماراباذ فكثيرة البساتين والمياه وهي مدينة اصغر من مالن، ويرتفع منها ارز كثير يجلب الى النواحي ...

« واما بوسنج ففيها من المدن خرکرد وفرکرد وكره ، واكبرها بوسنج وهي مدينة نحو نصف هراة وهي وهراة في مستواة ، ومن بوسنج الى الجبل نحو فرسخين وهو الجبل الذي من هراة اليه فرسخان ، وبنائهم من جبس وليس كبناء هراة ولهم مياه واشجار كثيرة ، ولهم من اشجار العرعر ما ليس بجميع خراسان في بلد ويحمل هذا الخشب الى سائر النواحي . وماؤهم من نهر هراة وهو النهر الذي يجري الى سرخس وينقطع دون سرخس في اكثر الاوقات ، وينضب في الصيف ويصل اليها الماء في الشتاء فيمر في وسط البلد . ولبوسنج حصار وعليه خندق وله ثلاثة ابواب: فباب يعرف بباب علي يفضي الى طريق نيسابور ، وباب هراة يشرع الى هراة ، وباب قوهستان يأخذ الى قوهستان . واكبر المدن بها بع دبوسنج كوسرى وهي مدينة خصبة ولها ماء وبساتين قليلة ، وهي نحو الثلث من بوسنج وبنائهم من طين . وخرکرد لها ماء وبساتين كثيرة وهي اصغر من كوسرى . وفرکرد اصغر من خرکرد وماؤها الجاري قليل وهم اصحاب سوائم وليس لهم بساتين كثيرة . وكره لها بساتين ومياه كثيرة وهي نحو فرکرد في الكبير .

وباذغيس بها من المدن جبل الفضة ...

« وكنج رستاق مدينتها بين ولها كيف وبغشور ، ومنها ابو منصور البغوي صاحب بريد نيسابور وايسر من بخراسان واكثرهم كتباً واحسنهم انشاء ، والكنهم بالعربية وافصحهم بالفارسية ، وهو اخطر من رايت بخراسان واكثرهم صامتا وناطقا وتجارات وضياعا وكراماً واوثقهم عند سلطانهم حكاية . وسلطان هذه الناحية مقيم بين ، وهي اكبر هذه المدن ..

واما الغور فانها دار كفر وانما تذكر في الاسلام لان بها مسلمين ، وهي جبال عامرة ذات عيون وبساتين وانهار وهي حصينة منيعة وفي اوائهم مما يلي المسلمين قوم يظهرزون الاسلام وليسوا بمسلمين ... وجميع البلاد المطيعة به للمسلمين من جميع النواحي وليس في جميع بلد الاسلام ناحية كفر يشتمل على اقطارها وحدودها المسلمون غير الغور، وهم في وسطهم (وقبائل برغواطه الذين بنواحي فاس والسوس وسجلماسة وماسة ، وهم قوم في زنقة من الارض يحيط بها البحر المحيط) . واكثر رقيق الغور

يقع الى هراة وسجستان ونواحيها . وتمتد جمال الغور في حدود خراسان وظاهر الباميان الى البنجهير حتى تدخل بلاد وخان وتمر في بلاد الترك على حدود الشاش الى خرخيز ، وهذا الجبل من اوله الى اخره معادن للفضة والذهب واغزر معادنه ما قرب من خرخيز ومر على نواحي فرغانه واشروسنه ، ولو عمل لزاد على ما بالبنجهير . .

« واما سرخس فمدينة بين نيسابور ومرو وهي في ارض سهلة ، وليس بها ماء جار الا نهر يخرج اليهم فضله في بعض السنة ولا يدوم ماؤه ، وه فضل مياه هراة وزروع سرخس بخوس ، وهي مدينة تكون نحو نصف مرو عامرة صحيحة التربة ، والغالب بعد الزرع على نواحيها المراعي وهي قليلة القسرى ومعظم املاكهم الجمال والاغنام وهي مطرح لحمولات ما وراء النهر ، ومدن خراسان وماؤهم من ابار وارحيتهم على الدواب وليس بها طواحين الماء وجميع ابنيتهم من طين . ونسا مدينة خصبة كثيرة المياه والبساتين وهي في الكبر نحو سرخس ومياههم جارية في دورهم وسككنهم وهي نزهة ولها رساتيق واسعة خصبة ، وهي في اضعاف جبال . وفراوه مدينة ثغر في وجه البرية على الغزية وهي منقطعة عن القرى وفيها منبر وقيم بها المرباطون ، وهم عدد يسير الا انهم يرجعون الى عدة وافرة وينتابهم الناس للرباط عنهم ، وليس لهم قرية ولا يتصل بهم عمارة ولهم عين ماء يجري ومنها شربهم وممرها في وسط القرية ، وليس لهم بساتين ولا زرع ولا مباقل ويكونون دون الفرجل ذي بأس .

وبلخ مدينة يتصل بعملها طخيرستان والختل وبنجهير وبذخشان واعمال الباميان وما يتصل بها ...

« واما بلخ فمدينة جليلة مثل مرو وهراة ، وهي في مستواة وبينها وبين اقرب الجبال اليها نحو اربعة فراسخ ، وهي بربضها نحو فرسخ في مثله وبنائها الطين ولها ابواب فاشهرها : باب النوبهار وباب واخه وباب الحديد وباب الهندوان وباب اليهود وباب الشستمن وباب بختى ، وعليها سور يشرع منه هذه الابواب . وربضها حسن آخذ من شرقها وجنوبها وغربها وقد حف بها . ومسجد جامعها بالمدينة في وسطها واسواقها تحف بمسجد جامعها وهو مسجد معمور بالناس على مر الاوقات وتعاقب الايام والساعات . ولها نهر يدير عشر ارحية مارا على باب النوبهار ويسقى رساتيقها وتحف بابوابها كلها البساتين والكروم . وسور المدينة من طين وهي مدينة قديمة ازلية تجمع جميع التجارات وتقصد بالامتعة من سائر الجهات ، وفي اهلها علم ويغلب عليهم الادب ودقة النظر في الفقه والعلوم الغامضة وقد خرجت غير رئيس وعرف من اهلها غير نفيس .

ويس للباميان حصار وهي على جبل ويجري بين مدنها نهر كبير ويقع الى غرجستان ، وفواكههم تجلب اليهم وليس لهم بساتين وتنقل الثمار من ارسف وغيرها . وليس بنواحي الباميان مدينة على جبل سواها وجميعها ذوات انهار واشجار وثمار غزنة فانه ايضا لا بساتين بها ولا نهر . وليس بهذه النواحي والمدن التي هي في نواحي بلخ اكثر مالا وتجارة من غزنه لانها فرضة الهند ، وان كانت قد تغيرت في سنة خمس وخمسين . . . ومدينة كابل مدينة لها قهندز موصوف بالتحصن والمنعة واليه طريق واحد وفيها المسلمون ولهم ربح في الكفار واليهود . . وهي ايضا فرضة للهند وطريقها سابل الى كل جهة لهم وبيع بها من النخيل في كل حول مما يعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بايدى التجار على ما يذكره تجارهم بالفي الف دينار وزائد . والذي شاهدت دون ذلك لاسباب جرت من الفتن بدخول الجيش مع الحاجب اليهم ، والخلاف بينه وبين الملوك المجاورين لها ومطالبتهم بما بعد عهد سلفهم به من الضرائب القديمة والكلف السالفة ، وجباية الاموال الجسيمة كالجزية عن رؤوسهم والايخوة من بلادهم . ويرتفع من كابل ثياب من القطن حسنة يعمل منها السبنيات الفاخرة والشرابيات المثمنة وتخرج الى خراسان وتدخل الى الصين وتنتب بالسند واعمالها ، وبها معادن حديد كثيرة . وكابل جروم ولا نخيل بها ويقع في بعض نواحيها ثلج .

« ويرتفع من بلخ واعمالها في نفسها النوق المتقدمة على سائر ما في جنسها لصحة مراعيها وخصوص نتاجها والبخاتي التي بها فتختار ، غير ان بخت سمرقند اصلب واشد وابدن من نوق بلخ ولا نظير لها في جميع الارض . وبها الاترج الحسن الفائق الكباب والنيونوفر وقصب السكر وما لا يكون الا بالبلدان الحارة الجرومية غير انه لا نخيل بها . وبها من انواع النواوير الحسنة المختلفة الاشكال الطيبة الارائح والاصباغ ما ليس بكثير من الاماكن كهو . ويقع بها وفي نواحيها الثلوج العظيمة وهي من اكابر بلاد الصرود ويجمد بها الماء .

« واكثر السوائم بخراسان من الابل بناحية سرخس وبلخ ، واما الغنم فاكثرها ما يجلب اليهم من بلاد الغزية ومن الغور والخلج . وبخراسان من الدواب والرقيق والاطعمة واللحوس مما يحتاج الناس اليه ما يسعهم ينقل الى سائر الاقطار عنهم . واما الدواب فانفسها ما يقع من نواحي بلخ ، وانفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك ولا نظير لرقيق الترك في جميع رقيق الارض ، ولا يدانيه في القيمة والحسن . وغير غلام رايته قد بيع بخراسان بثلاثة آلاف دينار ، وتبلغ عندهم الجارية التركية ثلاثة آلاف دينار ، ولم ار بجميع اقطار الارض من الرقيق ما بلغ هذه القيمة من غلام ولا جارية رومية ولا مولدة ، ولا سمع في خبر ولا اثر الا ما كان معه آلة السماع مع

الحذق البارع والاداء الصحيح ، ومن هذا الجنس كثير في دور آل سامان وعند الجلة والقواد من اهل خراسان . وانفس ثياب القطن والابرسم ما يرتفع من نيسابور ومرو . واخير لحمان الغنم والده ما يجلب من بلاد الغزية ، واعذب المياه عندي واخفها ماء جيحون وذلك ان البرد يسرع اليه والحم في اقرب وقت من الزمان . وايسر اهل خراسان اهل نيسابور ، وانجب بلدان خراسان اهل بلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام ، وازكى اراضي خراسان سقي نيسابور والاعداء ما بين هراة ومرو الروذ . وليس بخراسان جروم الا ما كان بناحية قوهستان فيما يلي فارس وكرمان واشدها بردا وثلوجا نواحي الباميان .

ما وراء النهر في عصر الفارابي

(٨)

الجزء الذي اطلقنا عليه ، متبعين في ذلك بعض الجغرافيين البلدانيين ، ما وراء النهر من المنطقة التي نعني بدرسها ، يشمل ، نهر جيحون وما عليه وخوارزم والصفد (السغد) واقليم نهر سيحون .

وحدود ما وراء النهر وميزات الاقليم فقد ذكرها الاصطخري بقوله :

« واما ما وراء النهر (٢٤) فيحيط به من شرقيه : فامر وراشت ، وما يتاخم الختل من ارض الهند على خط مستقيم ، وغريه بلاد الغزية والخرلخية من حد طراز ، ممتدا على التقويس حتى ينتهي الى فاراب وبيسكند وسغد سمرقند ونواحي بخارى الى خوارزم ، حتى ينتهي الى بحيرتها (بحيرة ارال) ، وشماليه التترك الخرلخية من اقصى بلد فرغانة الى الطراز على خط مستقيم ، وجنوبه نهر جيحون من لدن بدخشان الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم ، وجعلنا خوارزم والختل في ما وراء النهر لان الختل بين نهر جرياب ووخشاب ، وعمود جيحون جرياب ، وما دونه من وراء النهر . وخوارزم مدينتها وراء النهر ، وهي الى مدن ما وراء النهر اقرب منها الى مدن خراسان .

« ما وراء النهر من اخصب اقاليم الاسلام وانزهها واكثرها خيرا ، واهلها يرجعون الى رغبة في الخير ، واستجابة لمن دعاهم اليه ، مع قلة غائلة وسلامة ناحية ، وسماحة بما ملكت ايديهم ، مع شدة شوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وكراع وسلاح ، فاما الخصب بها فانه ليس من اقليم ذكرناه الا يقحط اهله مرارا قبل ان يقحط

ما وراء النهر ، ثم ان اصيبوا ببرد او جراد او آفة تأتي على زروعهم ففي فضل ما يسلم في عرض بلادهم ما يقوم باودهم ، حتى يستغنوا عن نقل شيء اليهم من غير بلادهم ، وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن او قرى او مباحس او مراعي لسائمة ، وليس شيء لابد للناس منه الا وعندهم منه ما يقيم اودهم ويفضل عنهم لغيرهم ، فاما اطعمتهم فمن السعة والكثرة على ما ذكرناه ، واما مياههم فانها اعذب المياه واخفها ، وقد عمت المياه العذبة جبالها وضواحيها ومدنها ، واما الدواب ففيها من النتاج ما فيه كفاية لهم مع كثرة ارتباطهم لها ، وكذلك البغال والحمير والابل ، واما الحومهم فان بها من النتاج ما يجلبونه من الغزية والخرلجية ، وما يتصل بهم من حوالها ما يفضل عن كفايتهم ، اما اللبوس ففيها من ثياب القطن ما يفضل عنهم ، حتى ينقل عنهم الى الافاق ، ولهم انحاء والصوف والاوبار ، وبلادهم من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم في الاسلحة والادوات ، وبها معدن الفضة والذهب والزئبق ، الذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن في سائر بلدان الاسلام الا بنجهر في الفضة . واما الزئبق والذهب وسائر ما يكون في المعادن فاغزرها ما يرتفع مما وراء النهر ، وليس في شيء من بلدان الاسلام النوشاذر والكافد الا في ما وراء النهر ، اما فواكههم فانك اذا تبطننت السفد واشروسنة وفرغانة والشاش رايت من كثرتها ما يزيد على سائر الافاق ، حتى يرهاها لكثرتها دوابهم ، واما الرقيق فانه يقع اليهم من الاتراك المحيطة بهم ما يفضل عن كفايتهم ، وينقل الى الافاق من بلادهم ، وهو خير رقيق يحيط بالشرق كله ، وبها من المسك الذي يجلب اليهم من تبت وخرخيز ما ينقل الى سائر الامصار منها ، ويرتفع من الصغانيان الى واشجرد من الزعفران ما ينقل الى الافاق ، وكذلك الاوبار من السمور والسنجاب والثعالب وغيرها ، مما يحمل الى اقصى الغرب ، مع طرائف من الخدنك والختو والبزاة ، وغير ذلك مما يحتاج اليه الملوك . . . وتري الغالب على اهل الاموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم الى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير الا القليل منهم . وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية أهلة الا بها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طريقه . وبلغني ان بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط ، في كثير منها اذا نزل النازل اقيم علف دابته وطعام نفسه ان احتاج الى ذلك ، وقل ما رايت خانا او طرف سكة او محلة او مجمع ناس في الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبل . ولقد اخبرني من يرجع الى خبره ان بسمرقند في المدينة وحائطها فيما يشتمل عليه السور الخارج زيادة على ألفي مكان ، يسقى فيها ماء الجمد مسبلا ، من بين سقاية مبنية وجباب منصوبة . واما بأسهم وشوكتهم فانه ليس في الاسلام ناحية اكبر حظا في الجهاد منهم ، وذلك ان جميع حدود ما وراء النهر الى دار الحرب .

« أما من خوارزم الى ناحية اسبجباب فهم الترك الغزية ، ومن اسبجباب الى اقصى فرغانة الترك الخرخية ، ثم يطوف بحدود ما وراء النهر من السندية وبلد الهند من ظهر الختل الى حد الترك في ظهر فرغانة . فهم القاهرون لاهل هذه النواحي ، ومستفيض انه ليس في الاسلام دار حرب هم اشد شوكة من الترك . فهم ثغر المسلمين في وجه الترك ، يمنعونهم من دار الاسلام ، وجميع ما وراء النهر ثغر ، يبلغهم نفي العدو ، ولقد اخبرني من كان مع نصر بن احمد رحمه الله في غزاة شاوغر ، انهم كانوا يحزرون ثلاثمائة الف ... وبلغني ان بالشاش وفرغانة من الاستعداد ما لا يوصف مثله عن ثغر من الثغور ، وهم على بعد دارهم اول سابق الى الحج ، لا يدخل البادية قبلهم احد ، ولا يخرج منها بعدهم احد ... حتى دعا ذلك الخلفاء الى ان استدعوا مما وراء النهر رجلا . وكانت الاترك جيوشهم ، لفضلهم على سائر الاجناس في البأس والجرأة والشجاعة والاقدام ، ودهاقين ما وراء النهر قوادهم وحاشيتهم وخواص خدمهم ... فصاروا حاشية الخلافة وثقاتهم ورؤساء عساكرهم ، مثل الفراغنة والاتراك الذين هم شحنة دار الخلافة ، والاتراك الذين كانوا لبأسهم ونجدتهم غلبوا على الخلافة مثل الافشين وآل ابي الساج ، من اشروسنة ، والاختشيد من سمرقند ، والمزبان بن تركسفي وعجيف بن عنبسة من السغد ، والبخارا خذاه وغيرهم من امراء الحضرة وقوادها وجيوشها ، والملوك على هذا الاقليم وعلى سائر خراسان آل سلمان ، وهم من اولاد بهرام جوبين الذي سار ذكره في العجم بالبأس والنجدة . فلمثل هذه الاسباب ليس في الاسلام ملك امنع جانبا ولا اوفر عدة ولا اكمل اسبابا للملك منهم ، لانه ليس في الاسلام جيش الا وهم شذاذ القبائل والبلدان والاطراف ، اذا تفرقوا في هزيمة وتمزقوا في حادثة لم يلتق منهم جمع بعد غير جيش هؤلاء الملوك ، فان جيوشهم الاتراك المملوكون .

واما نراهة ما وراء النهر فاني لم ار - ولا بلغني في الاسلام - بلدا احسن خارجا من بخارى ، لانك اذا علوت قلعتها لم يقع بصرك من جميع النواحي الا على خضرة ، تتصل خضرتها بلون السماء ، فكان السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط اخضر ، تلوح القصور فيما بينها كالتوائر فيها ، وارضى ضياعهم مقومة بالاستواء كأنها المرأة ، وليس بما وراء النهر وخراسان بلد احسن قياما بالعمارة على ضياعهم من اهل بخارى ، ولا اكثر عددا على قدرها في المساحة منهم ، وذلك مخصوص بهذه البلدة . ويحيط ببخارى وقراها ومزارعها سور قطره عشرة فراسخ في مثلها كلها عامرة . واما سغد سمرقند فانها من حد بخارى على وادي السغد يمينا وشمالا تتصل الى حد البتم لا تنقطع . ومقدارها في المسافة ثمانية ايام ، مشتبكة الخضرة والبساتين ، فهي ميادين وبساتين ورياض مشتبكة ، قد حفت بالانهار الدائم

جريها ، والحياض في صدور رياضها وميادينها ، مخضرة الاشجار والزرورع ، ممتدة على جانبي واديها ، ومن وراء الخضرة من جانبيها مزارع تحرسها ، ومن وراء هذا المزارع مراعي سوائمها . والقلعة من كل مدينة وقرية بها تبص في اضعاف خضرتها ، كأنها ثوب ديباج اخضر ، قد سيرت بمجاري مياهها ، وزينت بتبصيص قصورها . وهي ازكى بلاد الله واحسنها اشجارا وثمارا ، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية ، قل ما تخلو سكة او دار من نهر جار . وبفرغانة والشاش واشروسنة وسائر ما وراء النهر من الاشجار المتنفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة ما لا يوجد مثله في سائر الامصار . وبفرغانة في الجبال الممتدة بينها وبين بلاد الترك - من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه مع الورد والبنفسج وانواع من الرياحين ، كل ذلك مباح لا مالك له ولا مانع دونه ، وكذلك في جبالها وجبال ما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس في بلد غيره . وباشروسنة ورد يتصل الى آخر الخريف » .

وقد قسم الجغرافيون كلا من الاقاليم الرئيسة كورا ونواحي (على اختلاف فيما بينهم في تصنيف الكور والنواحي) . ونهر جيحون ، وما عليه ، هو اول ما يضادف الذهاب من خراسان الى اواسط اسية ، وقد اشار اليه كثير من الجغرافيين على انه حد بين توران (اي الاتراك) وايران (اي الفرس) (٢٥) . ونهر جيحون فان عموده هو نهر جرياب الا انه تجتمع اليه انهار كثيرة من بلاد الختل والوخش فيصير بذلك نهرا عظيما (٢٦) . وينتهي الى خوارزم وبحيرتها .

« ولا ينتفع بماء هذا الوادي (٢٧) بالختل والترمذ الى ناحية زم احد ، فتعمر به زم وآمل وفربر ، ثم ينتهي الى خوارزم فيعمر خوارزم ، وعامة نفعه لاهل خوارزم ، فاول كورة على جيحون مما وراء النهر : الختل والوخش ، وهما كورتان غير انهما مجموعتان في عمل واحد ، وهما ما بين نهر حرياب ووخشاب ، فمن مدن الختل : هلبك ومنك وتمليات وفارغر وكارنبج وانديجاراغ ورستاق بنك ، ومدن الوخش ، هلاورد ولاوكند ، ومقام السلطان بهلبك ، ومنك وهلاورد هما اكبر من هلبك ، غير ان مقام السلطان بهلبك . والذي يتاخم الوخش والختل ووخان والسندية وكران ، وهي دور كفر يقع منها المسك والرقيق . وبوخان معادن من الفضة غزيرة ، وفي اودية الختل ذهب يجمع في السيول من بلاد وخان ، وبين وخان وتبت قريب ، وارض الختل ذات زروع كثيرة ومياه وثمار ، وهي على غاية الخصب والسعة ، وبها دواب ومواش كثيرة .

وقد راينا ان ننقل ، ببعض الايجاز ، ما قاله الاصطخري عن ما وراء النهر (١٢٧) « فاذا جرت الختل والوخش الى نواحي واشجرد والقواذيان والترمذ والصفانيان

وما في اضعافها فانها كور مفردة بالاعمال ، واما الترمذ فانها مدينة على وادي جيحون لها قهندز ومدينة وربض ، ويحيط بالربض ايضا سور ، ودار الامارة في القهندز ، والحبس خارج القهندز في المدينة في السوق ، والمسجد الجامع في المدينة ، والمصلى داخل السور في الربض ، واسواقها في مدينتها . وابنيها طين ، ومعظم سككها واسواقها مفروشة بالاجر ، وهي عامرة آهلة ، وفرضة تلك النواحي على جيحون ، واقرب الجبال اليها على نحو مرحلة ، وماؤهم للشرب من جيحون ونهر يجري من الصفانيان ، وليس لضياعهم من جيحون شرب ، وشرب ضياعهم من نهر الصفانيان ، ولها من المدي صرمنجن وهاشم جرد ، والقوازيان مدينة لها كورة ، وهي اصغر من الترمذ ، ولها من المدن نودز ، والواشجرد نحو الترمذ في الكبر ، وشومان ، اصغر منها ، ويرتفع من واشجرد وشومان الى قرب الصفانيان زعفران كثير ، يحمل الى الافاق ويرتفع من القوازيان القوة ، والصفانيان مدينة اكبر من ترمذ ، الا ان الترمذ اكثر اهلا ومالا ، وللصفانيان قلعة . واما اخسيسك فهي بحذاء زم ، وزم في ارض خراسان الا انها مجموعتان في العمل ، والمنبر بالزم ، وهي مدينة خصبة صغيرة ، والغالب على اطرافها السوائم من الابل والغنم ، وعلى ظهر كل واحدة منهما مغاوز وآبار ومراع . واما فربر فهي مدينة من بخارى ، وقد وصفناها في جملة بخارى .

واما خوارزم فانه اسم الاقليم ، وهو اقليم منقطع عن خراسان وعماء وراء النهر ، وتحيط به المغاوز من كل جانب ، وحدها متصل بحد الغزبة فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبه وشرقيه خراسان وما وراء النهر . وهي في آخر نهر جيحون ، وليس بعدها على النهر عمارة الى ان يقع في بحيرة خوارزم ، وهي على جانبي جيحون ، ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون ، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى الجرجانية ، وهي اكبر مدينة بخوارزم بعد قصبته ، وهي متجر الغزبة ، ومنها تخرج القوافل الى جرجان والخزر والى خراسان .

« فاما قصبته فانها تسمى بالخوارزمية كاث ، ولها قلعة ليست بعامة ، وكانت لها مدينة فخريها النهر ، وبنى الناس من وراء المدينة ، وقد قارب النهر القلعة ويخاف على تهدمها ، والمسجد الجامع على ظهر القلعة ، ودار خوارزم شاه عند المسجد الجامع ، والحبس عند القلعة . وفي وسط المدينة نهر جردور يشق المدينة ، والسوق على جانبي هذا النهر ، وطولها نحو ثلث فرسخ في نحوه . واما ابوابها فقد تهدم بعض المدينة وذهب ابواب ما تهدم منها ، والباقي قد بنى خلف ما تهدم على الوادي . واول حد خوارزم يسمى الطاهرية مما يلي آمل ، فتمتد هذه العمارة في جنوبي جيحون ، وليس في شماليه عمارة ، الى ان ينتهي الى قرية تسمى غارابخشنه ،

ثم يكون من غارابخشنه الى مدينة خوارزم عامرا من جانبي جيحون جميعا . وقبل غارابخشنه بستة فراسخ نهر يأخذ من جيحون فيه عمارة الرستاق الى المدينة ... عرضه نحو خمسة ابواع (لعلها ازرع) ، وعمقه نحو قامتين، فيحمل السفن . ويتشعب منه بعد ان يجري خمسة فراسخ نهر يعمر به بعض الرساتيق ، وليس للعمارة على شط جيحون من الطاهرية الى هزاراسب كبير عرض . يعرض بهزاراسب فيصير عرضه نحو من مرحلة الى مقابل المدينة ، ثم لايزال يضيق حتى يصير بالجرجانية نحو فرسخين ... وبعده نهر خيو .

« وخوارزم مدينة خصبة كثيرة الطعام والفاكهة ، الا انها لا جوز بها ، ويرتفع منها من ثياب القطن والصوف امتعة كثيرة تنقل الى الافاق ، وفي خواص اهلها يسار وقيام على انفسهم بالمروة الظاهرة ، وهم اكثر اهل (المنطقة) انتشارا وسفرا ، فليس بخراسان مدينة كبيرة الا وبها من اهل خوارزم جمع كبير ، ولسانهم لسان مفرد ، وليس بخراسان بلد على لسانهم ، وزيهم القراطق والقلائس ، وخلقهم لا يخفى فيما بين اهل خراسان ، ولهم بأس على الغزاة ومنعة ، وليس ببلدهم معادن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الارض ، وعامة يسارهم من متاجرة الترك واقتناء المواشي ، ويقع اليهم اكثر رقيق الصقالبة والخزر وما والاها مع رقيق الاتراك ، والاوبار من الفنك والسمور والثعالب والخز وغير ذلك من اصناف الوبر .

فهذا ما على جيحون من الكور ، فنبدأ مما وراء النهر في كورة بخارى ، لانه اول الكور وبها دار امارة خراسان ، وهي مستقيمة على ترصيف كور ما وراء النهر . اما بخارى ، واسمها نومجكت ، فهي مدينة في مستوى ، وبنائها خشب مشتبك ، ويحيط ببناؤها قصور وبساتين وسكك وقرى تكون اثني عشر فرسخا في مثلها . ويحيط بجميع ذلك سور يجمع هذه القصور والابنية والقرى والقصبة ، فلا يرى في اضعاف ذلك كله مفازة ولا خراب . ومن دون هذا السور - على قصبة المدينة وما يتصل بها من القصور والمساكن والمحال والبساتين التي تعد من القصبة ، ويسكنها من يكون في جملة القصبة شتاء وصيفا - سور آخر قطره نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة داخل هذا السور ، يحيط بها سور حصين ، ولها قهندز خارج المدينة يتصل بها مقدار مدينة صغيرة ، وفيه قلعة اخرى ، ومسكن ولاية خراسان من آل سامان في هذا القهندز . ولها ربض ، والمسجد الجامع على باب القهندز في المدينة ، وحبسها في القلعة ، واسواقها في ربضها . وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة اشد اشتباكا من بخارى ، ولا اكثر اهلا على قدرها ، ولهم في الربض نهر السغد يشق الربض واسواقها ، وهو آخر نهر السغد ، فيفضى الى طواحين وضياح ومزارع ، ويسقط فاضله في مجمع ماء يجاور بيكند الى قرب فربر يعرف بسام خواش ، واما المدينة فلها

سبعة ابواب حديد ... ومياههم من النهر الاعظم وينشعب من هذا النهر في المدينة
أنهار للشرب والري .

اما رساتيق بخارى فمنها الذر وفرغيدد وسخر ورستاق الطواويس وبورق
وخرغانة السفلى .. فهذه الرساتيق داخل الحائط ، وخارج الحائط جزه وشابخش
ويسير رستاق - وغيرها ... وينشعب من عمود نهر السفد في حد بخارى خارجا
عن القصبة من الحائط الخارج بناحية الطواويس الى ان ينتهي الى باب المدينة انهار
كثيرة ، تتفرق في القرى والمزارع في الحائط ، وعليها عمارة قرى بخارى .. وما فضل
من ماء نهر السفد فانه يجري في نهر يعرف بالذر ، وهو النهر الذي يشق ربض
بخارى ، ومنه انهار المدينة ، واكثر هذه الانهار تحمل السفن كبرا وغزارة ، وكلها
تأخذ من النهر داخل حائط بخارى من حد الطواويس الى ان تنتهي الى المدينة .
وابنية قرى بخارى كلها على اشتباك البناء والتقدير في المساكن وارتفاع اراضي
الابنية ، وهي محصنة بالقلاع بالابنية المجموعة ، وليس في داخل هذا الحائط جبل
ولا مفازة ، واقرّب الجبال اليها جبل وركه ، ومنه حجارة بلدهم للفرش والابنية ،
ومنه طين الاواني والنورة والجص ، ولهم خارج الحائط ملاحات ، ومحتطبهم من
بساتينهم وما يحمل اليهم من المفاوز من الغضا والطفاء . وارااضي بخارى كلها قريبة
الى الماء لانها مفيض ماء السفد ، ولذلك لا تنبت الاشجار العالية فيها مثل الجوز
والدلب والهور وما اشبه ، فاذا كان منه شجر فهو قصير غير نام . وفواكه بخارى
اصح فواكه ما وراء النهر والذها طعما ، ومن عمارة بخارى ان الرجل ربما قام على
الجريب الواحد من الارض فيكون منه معاشه ، ومن كثرة عددهم ان ما يرتفع من
بلادهم يقصر عن كفايتهم ، لوفور عددهم وتضاعفهم على ما يخرج من اراضيهم ،
فيحمل اليهم المير من الطعام وسائر ما يحتاجون اليه من سائر ما وراء النهر .

ولبخارى مدن داخل حائطها وخارج عنه ، فما داخل حائطها فالطواويس ، وهي
اكبر منبر بعد القصبة ، وتومجكت وزندنه ومغن وخجادة ، وخارج الحائط بيكند
وفربر وكرمينيه وخديمكن وخرغانك ومذيامجكت . فاما الطواويس فانها مدينة
لها سوق ، ومجمع عظيم ينتابه الناس من اقطار ما وراء النهر في وقت معلوم من
السنة ، ويرتفع منها من الثياب القطن ما ينقل الى سائر المواضع ، وهي مدينة كثيرة
البساتين والماء الجاري خصبة . ولها قهندز ومدينة ومسجد جامعها في المدينة ، واما
المدن التي داخل الحائط فهي متقاربة في الكبر والعمارة ، ولكل منها حصن ، واما
كرمينية فهي اكبر من الطواويس واعمر واكثر عددا واخصب ، وخديمكن من
كرمينية ، وبحداثها خرغانك ومذيامجكت ، وهي متقاربة في الكبر والعمارة ،
ولكرمينية قرى كثيرة ، وكذلك لكل منبر قرى ومزارع ، الا بيكند فانها وحدها ،

غير ان بها من الرباطات مالا اعلم في بلدان ما وراء النهر اكثر عددا منها ، وبلغني ان عددها نحو من الف رباط ، ولها سور حصين ومسجد جامع تؤنق في بنائه وزخرف محرابه ، فليس بما وراء النهر محراب احسن زخرفا منه ، وفرب مدينة من جيحون ، ولها قرى وهي عامرة خصبة .

واما لسان بخارى فانه لسان السفد الا انه يحرف بعضه ، ولهم لسان الدرية ، واهلها يرجعون من الادب الى ما يفضلون بهما وراء النهر . وتقودهم الدرهم ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم . . . ولهم داخل الحائط وخارجه اسواق متصلة معلومة في اوقات من الشهر دارة ، يجري فيها من الشراء والبيع للثياب والرقيق والمواشي وغير ذلك مما يتسع به اهلها . ويرتفع من بخارى ونواحيها من ثياب القطن ما ينقل الى الافاق وكذلك البسط والمصليات وثياب من الصوف تستحسن ، ويتحدث اهل بخارى ان من بركة القلعة انه لم تخرج منها جنازة وال قط ، وما عقدت فيها راية خرجت فيزمت ، وهذا من الاتفاق العجيب ان صح ، ويقال ان اصل اهل بخارى في قديم الايام ناقلة اصطخر ، وسكن ولاية خراسان من السامانية مدينة بخارى ، لانها اقرب مدن ما وراء النهر الى خراسان ، فمن كان بها فخراسان امامه وما وراء النهر وراه ، ولهم من حسن الطاعة وقلة الخلاف على الولاية ما يؤدي الى اختيار المقام بينهم على سائر ما وراء النهر . واول ولاية خراسان من آل سامان اسماعيل بن احمد ، جاءته ولاية خراسان وهو ببخارى فاستدام المقام بها ، فبقيت الولاية بها في اولاده ، وقد كان ولاية ما وراء النهر يقيمون قبل ذلك اما بسمرقند واما بالشاش وفرغانة في وجوه التبرك ، وكان عمل ولاية بخارى يحجز مفردا من خراسان الى ان زالت ايام آل طاهر .

ويتصل ببخارى من شرقيها السفد ، واولها اذا جرت كرمينية الدبوسية ثم ربنجن والكشانية واشتيخن وسمرقند ، وكل هذا قلب السفد ، وقصبة السفد سمرقند ، وهي مدينة على جنوبي وادي السفد ، مرتفعة عليه ، ولها قهندز ومدينة ورېض ، فاما القهندز ففيه الحبس ودار الامارة عامران . واما المدينة فلها سور واربعة ابواب . . . ولها اسواق ومساكن وماء جار يدخل اليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسناة عالية من حجارة ، يجري عليها الماء من الصفارين حتى يدخل من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله ، وذلك ان حوالي المدينة خندقا قد تسفل ، لانه استعمل طينه في سور المدينة ، فبقي حوالها خندق عظيم ، فاحتيج الى مسناة في هذا الخندق يجري الماء عليها الى المدينة ، وهو نهر جاهلي في وسط السوق بموضع يعرف برأس الطاق ، وهو اعمر موضع بسمرقند . وعلى جنبات هذا النهر غلال موقوفه على مرمت هذا النهر ، وعليه حفظة من الجوس عليهم حفظة

شتاء وصيفا . والمسجد الجامع في المدينة بينه وبين القهندز عرض الطريق ، وفي المدينة مياه من هذا النهر وبساتين ، وفيها دار الامارة لال سامان غير دار الامارة بالقهندز والمدينة من الرض على جانبه ، قريب من وادي السفد الذي هو بين الرض والمدينة ، وذلك ان سور الرض ممتد من وراء وادي السفد ، والوادي للرض كالخندق مما يلي الشمال ، ويكون قطر السور المحيط برض سمرقند فرسخين . غير ان الرض شربه ومجمع اسواقه رأس الطاق ، ثم تتصل به الاسواق والسكك والمحال ، وفي تضاعيف ذلك قصور وبساتين فليس من سكة ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل ، وقل دار تخلو من بستان . حتى انك اذا صعدت اعلى قهندزها لم تبد المدينة للنظر ، لاستتارها بالبساتين والاشجار ، واكثر الاسواق والتجارات في الرض الا شيئا يسيرا في المدينة . وهي فرضة ما وراء النهر ومجمع التجار ، ومعظم جهاز ما وراء النهر يقطع بسمرقند ، ثم يتفرق الى سائر الكور ، وكانت دار امارة ما وراء النهر بها الى ايام اسماعيل بن احمد (الساماني) فنقلها الى بخارى . ولسور روضها ابواب .. وتربة سمرقند من اصح تربة واييسها ، ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية في سككهم ودورهم وكثرة اشجار الخلاف بينهم لاضر بهم فرط ييسها ، وبنائها طين وخشب . واهلها يرجعون الى جمال بارع ورزانة ، وهم من الافراط في اظهار المروة وتكلف القيام على انفسهم مايزيدون على سائر بلاد خراسان ، حتى يجحف ذلك باموالهم . وبسمرقند مجمع رقيق ما وراء النهر ، وخير الرقيق بما وراء النهر تربية سمرقند ، وبينها وبين اقرب الجبال نحو مرحلة خفيفة الا انه يتصل بها جبل صغير يعرف بكوهك ، يمتد طرفه الى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه احجار بلدهم ، والطين المستعمل في الاواني والنورة والزجاج وغير ذلك ، وبلغني ان به ذهباً وفضة غير انه لا يتسوغ العمل فيه . والبلد كله طرقه ومحاله وسككه الا قليلا مفترش بالحجارة ، ومياهم من وادي السفد ، وهذا الوادي مبدؤه من جبال البتم على ظهر الصفانيان ... ومنه تتشعب انهار سمرقند ، ورساتيق تتصل بها من غربي الوادي من جانب سمرقند .

واما رساتيق سمرقند فان اولها بنجيكت ومدينتها بنجيكت ... والساودار هو الجبل الذي عن جنوبي سمرقند ، وليس بنواحي سمرقند رستاق اصح هواء ولا زرعاً وفواكه منه، واهلها اصح الناس الوانا وابدانا ، وطوله زيادة على عشرة فراسخ ، وبالسوداد دير للنصاري يعرف بوزكرد ، ورستاق الدرغم ازكي هذه الرساتيق في الزروع ، ويفضل من اعيانها ما يحمل الى غيرها من الرساتيق ، واما ابقر فانها مباخس ، غير ان قراها اكثر عددا من رساتيق سمرقند وارضها منجبة ، وبلغني ان القفيز البذر يربع بها مائة قفيز وبها مراعي كثيرة .

« واما اشروسنة فاسم الاقليم ، كما ان السفد اسم الاقليم ، وليس ثم مدينة

بهذا الاسم ، والغالب عليها الجبال ، حدود اشروسنة : غربيها حدود سمرقند ، شماليها الشاش وبعض فرغانة ، جنوبيها بعض حدود كش والسفانيان وشومان واوشجرد وراشت ، شرقيها بعض فرغانة .. ومدينتها التي يسكنها الولاة هي برنجكت ، وبنائها طين وخشب ، وهي مدينة داخلها مدينة اخرى على كل منهما سور ، وللمدينة الداخلة بابان ، ويجري في المدينة الداخلة نهر كبير وعليه فيها رحى ، ويشتمل حائطها على دور وبساتين وقصور وكروم ، وقطرها نحو فرسخ ، وابوابها اربعة ... ولها ستة انهار ، كلها من منبع واحد ، هو من المدينة على اقل من نصف فرسخ وليس بجميع اشروسنة نهر تجري فيه سفينة .

والبتم جبال شاهقة منيعة ، واكثرها تغلب عليها البرد ، وبالبتم حصون منيعة جدا ، وفيه معدن الذهب والفضة والزاج والنشاذر ، وهو جبل فيه مثل الفار يبنى عليه بيت ويستوثق من ابوابه وكواه ، فيرتفع من الفار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار ، فاذا تلبد هذا البخار قلع منه وهو النشاذر ، ولا يتهاى لاحد ان يدخله من شدة حره ، الا ان يلبس لبودا ويدخل بها كالمختلس ، وهذا البخار يتنقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر ، فاذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه . والبتم جبال تسمى البتم الاول والاوسط والداخل ، وماء سمرقند والسغد وبخارى من البتم الوسطى . ومينك الموضع الذي قاتل فيه قتيبة بن مسلم ، وحصار الافشين هناك .

واما الشاش وايلاق فان مقدار عرضهما مسيرة يومين في ثلاثة ، وهي كثيرة القرى والعمارات والمناير ، وهي في ارض سهلة كثيرة المراعي والرياض ، وبالشاش وبايلاق مدن كثيرة ذوات ابواب واسوار وارباض وقلاع واسواق وانهار تخترق بعض المدن ، ومدن الشاش كثيرة ... والشاش وايلاق متصلتان لا فصل بينهما ، وبايلاق معدن ذهب وفضة ، واكبر مدن ايلاق نوكت وتونكت ، وليس بما وراء النهر دار ضرب الا بسمرقند وتونكت . واما اسبيجاب فمدينة نحو الثلث من تونكت ، وفي ريضها بساتين ومياه ، وابنيته طين وهي في مستوى من الارض وبينها وبين اقرب الجبال اليها نحو ثلاثة فراسخ . وللمدينة اربعة ابواب فباب منها يعرف بنوجكت وباب فرخان وباب سواكراثة وباب بخارى واسواقها في المدينة الداخلة وهي مدينة على غاية الخصب ولا اعلم بمكان بخراسان كلها وما وراء النهر بلدلا خراج عليه الاسبيجاب ومما يقع من المدن في نواحيها بدخكت وسبانيك والطراز واطلخ وشلجى وكدر ويسكند وشاوغر وصبران ووسيج فاما سبانيك فانها قصبة كورة كنجيدة واما كدر فانها قصبة كورة فاراب ووسيج ايضا من مدن فاراب ، وضيران هي مدينة

تجتمع بها الغزية للصالح والتجارات اذا كانوا صلحا وهي مدينة حصينة وفاراب اسم الناحية ومقدارها في الطول والعرض اقل من يوم الا ان بها منعة وبأسا وهي ناحية سبخة لها غياض ولهم مزارع في غربي الوادي تأخذ من نهر الشاش ويسكنها بها منبر على غربي وادي الشاش وهي مجمع الاتراك وقد اسلموا من اجناس للغزية والخرليخة ولهم باس ومنعه في الاتراك وبين فاراب وكجندة .. ابنية ابتناها نحو من الف بيت من الاتراك قد اسلموا وهم مقيمون بها في خراكاهات لهم ، والطراز متجر للمسلمين من الاتراك وحواليها حصون منيعة منسوبة اليها ولم يجتازها احد .. لانك اذا جزتها دخلت الخرليخة فهذا هو حد الشاش ونواحيها واما خجندة فانها متاخمة لفرغانة ... في جملة .. متاخمة منفردة الاعمال عنها وهي على نهر الشاش في غربيه وطولها اكثر من عرضها وتمتد على فرسخ كلها دور وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند وهي بساتين ودور مفترضة ولها قرى يسيرة ومدينة وقهندز وجامعها في المدينة ودار الامارة في الميدان بالربض والجبس في القهندز وهي مدينة نزهة بها فواكه تحمل الى سائر النواحي وفي اهلها جمال ولهم مروة وهي بلد يضيق عما يقيم من الزروع والحب اليهم من سائر فرغانة واشروسنة ما يقيم اودهم تنحدر اليهم السفن في نهر الشاش وهو نهو عظيم من انهار تجتمع اليه في حدود الترك والاسلام وعموده نهو يخرج من بلد الترك في حد اوركند ثم يجتمع اليه نهر خرشاب ونهر اوسن وقبل نهر جدغل وغيرها فتجتمع ويعظم فيمتد على اخسيكث ثم على بناكث فيجري الى فاراب فاذا جاوز حد صبران جرى في برية يكون على جانبيه الاتراك القرية الحديثة على فرسخ منها ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من القرية الحديثة وهذا نهر اذا امتد يكون نحو من الثلثين من جيحون وتحمل فيه المير الى القرية الحديثة اذا كانوا صلحا والقرية الحديثة فيها مسلمون غير انها دار الملكة للغزية ويقيم بها في الشتاء ملك الغزية وبقرها جند وخواره وفيهما قوم مسلمون غير ان السلطان بها للغزية واكبر هذه الثلاثة مواضع الحديثة وهي من خوارزم على عشر مراحل ومن فاراب على عشرين مرحلة .

« وفرغانة اسم الاقليم عمل على سعة مدنها وقراها وقصبتها اخسيكث وهي مدينة على شط نهر الشاش على ارض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ وهي على شمالي النهر ولها قهندز ولدينتها ربض ودار الامارة والجبس في القهندز والجامع خارج من القهندز ومصلى العيد على شط نهر الشاش واسواقها في مدينتها وربضها واكبر الاسواق بالمدينة ومقدارها في الكبر نحو ثلث فرسخ وبنائها طين وعلى ربضها سور وللمدينة الداخلة خمسة ابواب .. وفي ربضها مياه جارية وحياض كثيرة وكل باب من ابواب ربضها يفضي الى بساتين ملتفة وانهار جارية لا تنقطع

مقدار فرسخين ويلي اخسيكث في الكبر قبا وهي مدينة من انزه تلك المدن وهي تقارب اخسيكث في الكبر ولها قهندز ومدينة وريض الا ان القهندز خراب والمسجد الجامع في القهندز واسواقها في ربضها ودار الامارة والحبس في الربض وعلى الربض سور محيط ولها بساتين كثيرة ومياه جارية تزيد على بساتين اخسيكث ومياهها . ويلي قبا في الكبر اوش وهي تقارب قبا في الكبر ولها مدينة عامرة وقهندز عامر ودار الامارة والحبس في القهندز وللمدينة ربض وعلى الربض سور وهي ملاصقة للجبل الذي عليه مرقب الاحراس على الترك ولها ثلاثة ابواب . واوزكند اخر مدن فرغانة مما يلي دار الحرب » .

الترك والعالم الاسلامي الى عصر الفارابي

(٩)

مع ان نهر جيحون كان يعتبر الحد الفاصل بين طوران (توران) وايران - شعوبا ولفات ، فالواقع هو ان الشعوب التركية وشعوب ايران كانت ، منذ اقدم الازمنة ، على اتصال . وقد يكون الاتصال هجوما من الرعاة الترك على الاجزاء الزراعية ، وقد ينتهي باستقرار القادمين وتبلدهم ، وقد يكون الاتصال سلميا ، قوامه التجارة وتبادل المنافع ، وهو الاكثر استمرارا . ومعنى هذا انه لم يقم في وقت من الاوقات خط اوحده فاصل ثابت بين الفريقين . وهذا الوضع ينطبق على شرق خراسان بخاصة بسبب جوارها لما وراء النهر اولا ، ولان الارض ايسر اجتيازها في اودية معينة ودروب معروفة . وكان تبادل السكان بين المنطقتين وما ورائها امرا مألوفاً .

فمن المتاجر التي كانت المناطق المتحضرة الزراعية تصدرها الى بدو الشمال (اي تركستان) الطحين والقمح والشعير والسكر والافاويه والاسلحة والاقمشة . اما البدو انفسهم فقد كانوا يسوقون قطعانهم ومواشيهم الى المدن القريبة من الحدود لبيعوها لاهل هذه المدن . فكان هؤلاء يحصلون على حاجتهم من الخيول والاغنام والحمير والبغال من الغز والخرلخية مثلا . وكان هؤلاء البدو يقومون بحراسة القوافل عبر السهوب (٢٨) .

ولعل من اهم ما كان يحمل من مناطق الشمال هو الرقيق التركي . ويبدو ان هذا الرقيق عرف في ايام الخلافة الاموية ، نتيجة للاتصال الحربي والتجاري بين العرب المسلمين وسكان تلك الاماكن النائية . ولم تلبث تجارة الرقيق ان اصبحت

تجارة رائجة رابحة بحيث ان السامانيين ، مثلا ، كانوا يمنحون جوازا من السلطان للسماح للفلمان والجواري اذا كانوا اتراكاً (٢٩) . وقد كان حكام الاقاليم الشرقية يبعثون الى الخلفاء ببغداد هدايا من الرقيق . كما كان في بغداد ، الى جانب الرقيق ، جماعة من التجار الصغار والصناع من الاتراك ، الا ان الاتراك دخلوا الباب الواسع كجنود . بحيث اصبح الخلفاء يعتمدون عليهم دون العرب والفرس (٣٠) .

والذي يعنينا في هذا البحث هو ان الاتراك الغز (او الاغز او الطقوز اغز) الذين وصلوا الى حوض نهر سيحون في القرن الثامن للميلاد بأعداد وافرة ورثوا حضارة مستقرة الصفات عن سبقهم ونموها بحيث ان البحوث الاثرية التي قام بها تولستوف تثبت ان حضارة المدن الواقعة في حوض سيحون لا يظهر فيها أي انقطاع بين ايام الهيطل (او الختل) في القرنين الخامس والسادس من جهة والقرن العاشر للميلاد من الجهة الثانية (٣١) . ويبدو ان تأثير هذه المدن بالمسلمين المجاورين في خوارزم وما اليها دفع تطورها الحضاري الى الامام .

المدن الكبرى والمراكز العلمية

في خراسان وما وراء النهر

(١٠)

أولاً : يبدو ، مما مر بنا ، انه كان ثمة ، على الاقل ، ستمدن كبرى في منطقة ما وراء النهر وخراسان هي : سمرقند وبخارى ونيسابور ومرو وهراة وبلخ . وكل من هذه المدن كانت تقع على الطرق التجارية الرئيسية التي تصل بين الصين او الهند من جهة ، وايران وما الى الغرب منها من جهة ثانية .

ثانياً : في هذه المدن كان يجتمع التجار والسفراء ورجال الدين واهل العلم مشرقين ومغربين .

ثالثاً : ان اكثر هذه المدن كانت لها مكانة علمية في ناحية من النواحي قبل الفتوح العزبية وانتشار الاسلام في تلك الربوع .

رابعاً : ان المنطقتين الواقعتين الى الشرق (الصين والهند) وإلى الغرب (ايزان وبلاد الرافدين وما الى ذلك) من البلاد التي تقوم بها هذه المدن ، كان لهما حضارات وفلسفات وعلوم حرية بان يتبادلا سكانهما ، وقد تم هذا التبادل على اشكال مختلفة .

خامسا : ان الفتوح العربية وقيام الدولة العربية الاسلامية (ونشوء الدويلات فيما بعد) وانتشار الاسلام كانت عوامل فعالة في توسيع مجال الاتصال بين هذه المدن والمناطق الواقعة الى الشرق والغرب (وحتى الشمال) منها .

سادسا : ان الدويلات التي قامت في المشرق ، والدولة السامانية في مقدمتها ، كانت تسير على غرار البلاط العباسي في الاهتمام بالعلم والعلماء ، مفيدة من تقاليد تليدة عرفتھا المنطقة حتى قبل وصول العرب والاسلام اليها . والذي حدث ان العامل الفعال في التطور الفكري والعلمي والحضاري اصبح الان الاسلام ، وصارت اللغة العربية هي لغة العلم والادب ، الى ان عاد للفارسية دورها الادبي في القرن الرابع (العاشر) .

سابعا : يمكن ان نضيف الى هذا الامر امرا آخر ، وهو ان ما اصاب العالم الاسلامي في القرون الثاني والثالث والرابع/الثامن والتاسع والعاشر من خلافات فكرية دينية في الاسلام نفسه ، عرفتھا المنطقة وتأثرت واسهمت فيها . وهذا معناه مشاركة فعلية في جميع الاتجاهات والتيارات العقلية والفقهية والشرعية والادبية التي عرفتھا بغداد ودمشق وحلب والفسطاط وغيرها من امهات المدن العربية الاسلامية .

ثامنا : عرفت خراسان وما وراء النهر مدارس بالمعنى الاسلامي (الفقهي .. الخ) في ايام الفارابي وقبله . وقد بحث ناجي معروف هذا الموضوع بحثا وافيا في كتابه مدارس قبل النظامية (بغداد ، ١٣٩٣ / ١٩٧٣) . وخلص من بحثه الى نتائج هامة يمكن تلخيصها فيما يلي :

أ - ان المدارس الاولى التي بنيت في خراسان وما وراء النهر كانت « احادية اي بنيت لمذهب واحد من المذاهب الفقهية الاربعة . وكان اغلبها للشافعية والحنفية » (ص ١٥) .

ب - « وقد اتخذت المدارس في خراسان وما وراء النهر لسكنى المدرسين والطلبة وفي بعض الاحيان كان ينزلها العلماء الطائرون » (ص ١٧) .

ج - كانت الاوقاف على هذه المدارس كثيرة ، وكانت تستخدم ، « لعمارتها واجراء الجزايات على اربابها من المدرسين والعلماء والطلبة من المتفقهة واهل الحديث والوعاظ والمذكرين والصوفية والائمة والمؤذنين وغيرهم . فقد جعل ابن حبان

التميمي المتوفى سنة ٩٦٥/٣٥٤ لطلاب مدرسته جرايات دارة يستنقونها » (ص ١٩)

د - « ولما كانت خزائن الكتب في المدارس من الامور التي تساعد على الدرس والبحث فقد اكثر مؤسسو المدارس من ايقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها في المدارس ، وانشأوا لها المباني الخاصة والحجرات العديدة واقاموا عليها الخزان والمشرفين والنظار ... فقد سبل ابو حاتم البستي التميمي (المذكور آنفا) كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها لها » (ص ١٩ - ٢٠) .

تاسعا : بين لنا الدكتور ناجي معروف في دراسته المذكورة المدارس التي يعيننا امرها (من حيث انها كانت قائمة في عصر الفارابي) . ومنها :

١ - مدرسة حبان بن محمد القرشي بنيسابور . وقد توفي سنة ٩٦٠/٣٤٩ (ص ٢٥) . وتاريخ وفاته يأتي بعد عشر سنوات من وفاة الفارابي .

ب - مدرسة ابن حبان التميمي بنيسابور . وقد توفي صاحبها سنة ٣٥٤/٩٦٥ (ص ٢٦) .

ج - مدرسة ابي حفص بخارى التي درس فيها ابن شاهويه المتوفى سنة ٩٧١/٣٦١ . ومعنى هذا ان المدرسة كانت قائمة ايام تدريس ابن شاهويه فيها . وهذا الرجل كان اماما بنيسابور ثم خرج الى بخارى ثم عاد الى نيسابور وحدث بها وتوفي هناك سنة ٣٦١ هـ . (ص ٢٦) .

د - مدرسة مرست في بنج ديه في منطقة مرو الروذ . وقد درس فيها ابن اسماعيل القفال الكبير الشاشي (الطشقندي) المولود سنة ٩٠٢/٢٩١ والمتوفى سنة ٩٧٥/٣٦٥ . فهو معاصر - بعض الوقت - للفارابي .

هـ - بالاضافة الى هذه المدارس التي كانت قطعاً قائمة في ايام الفارابي ، ذكر الدكتور معروف مدارس انشئت قبل سنوات معينة ، وقد تكون قديمة بحيث عاصرها الفارابي او قد تكون متأخرة عن ايامه . ولنذكر منها على سبيل المثال : مدرسة محمد الحمزاوي (نيسابور) انشئت قبل سنة ٩٩٨/٣٨٨ . مدرسة ابن رضوان (نيسابور) قبل سنة ٩٩٩/٣٩٠ . المدرسة السعيدية (نيسابور) انشئت بعد سنة ٩٩٩/٣٩٠ بقليل . المدرسة الدقاقية (نيسابور) بنيت في سنة ٩٩٩/٣٩١ (ص ٢٨ - ٣٠) . وفي الصفحات التالية عدد اخر من المدارس انشئت بعد ذلك) .

عاشرا : خزائن الكتب كانت كثيرة في تلك المدن . فقد ذكر ياقوت ان مرو كان بها عشر خزائن للكتب . ويبدو من رواية ياقوت ان اثنتين منها كانتا قد انشئت قبل زيارته لمرو (٣٢) .

حادي عشر : يقول المقدسي عن نيسابور (ويسمىها ايرانشهر) انه قد اجتمع لها من الخلال الكثير منها المدارس الرشيقة ، وانه يرحل اليه في العلم والتجارات (٣٣) وقد نقل لسترانج عن ابن بطوطة ان مدارس بلخ ، بعد ان هدم جنكيز خان المدينة ، باقية الرسوم (٣٤) .

ثاني عشر : لعل المدينتين اللتين كانتا تتقدمان سواهما في المنطقة في عصر الفارابي هما نيسابور في خراسان وبخارى في ما وراء النهر . على اننا تقع على اسماء علماء ومحدثين منسوين الى مدن اخرى او جهات معينة : كالسمرقندي والشاشي والبستي والبلخي والفارسي والبوشنجي والنسوي . ونحن تقتصر هنا على اسماء توفي اصحابها قبل سنة ٤٠٠ هـ (٣٥) .

وقد كان فيما نقلناه عن نيسابور (ابن حوقل) وعن بخارى (الاصطخري) الكفاية لما كان لهاتين المدينتين من اهمية تجارية وصناعية وسياسية وعلمية . الا اننا نود ان نلفت نظر القراء الى ما كتبه بوزورث وشولر عن نيسابور (٣٦) وما جاء عن بخارى عند فراي (٣٧) . نود ان ننقل هنا بعض ما جاء في كتاب فامبري (تاريخ بخارى) (٣٨) . فقد جاء فيه قوله :

« ان بخارى التي اشتهرت ايام الزرادشتيين بانها « متابة العلوم كلها » اشتاقت كذلك لاسترداد صيتها القديم في ظل الاسلام . وسرعان ما اصبحت تعرف باسم « بخارى الشريفة التقية » وكان النشاط العقلي السائد في ذاك الوقت وقفا على علوم الدين . وبهذا كان اوائل المشاهير الذين ازدانت بهم تلك المدينة التي تقع على نهر زرفشان هم من الاولياء الذين لا تزال قبورهم هناك اعظم المزارات حتى اليوم . ومن هؤلاء ابو حفص البخارى المولود عام ٧٦٧/١٥٠ ، وكان من العلماء الذين تزعموا الحركة الفكرية في مدينة بخارى زمنا طويلا . وهو من تلاميذ الامام محمد شيباني ، وقد شهد له بانه كان اقدر تلاميذه . ومات ابو حفص عام ٨٤١/٢٢٧ ، وترك من بعده ذكرى خالدة لنشاطه العقلي تمثلت في تلميذه عبد الله الفقيه الملقب بالبخاري شيخ المحدثين المسلمين الذي ولد عام ٨٠٩/١٩٤ في بخارى . ويعد كتابه الكبير « جامع الصحيح » اعظم مرجع للحديث في الثقافة الاسلامية كلها . ويذكر ابن خلكان ان اكثر من سبعين الفا من طلبة العلم درسوا هذا الكتاب على هذا الشيخ ،

وان هذا الكتاب يحوي ستمائة الف حديث انفق البخاري ستة عشر عاما في جمعها وتصنيفها . ومات في نواحي سمرقند عام ٨٦٩/٢٥٦ . ويأتي من بعده محمد السبدموني العلامة قاضي القضاة في عصر اسماعيل ، ومات عام ٩١٦/٣٠٤ م ، ثم محمد بن الفضل اعظم فقيه في عصره ، وغير هؤلاء ممن صارت بهم بخارى ، ومدن العالم الاسلامي الاخرى تحسدها على وجودهم بها . ويقول مقرظو اسماعيل ان صيت بخارى بهؤلاء العلماء هو الذي حدا بالامير الساماني الكبير الى ان يتخذها حاضرة له بدل سمرقند . ومهما يكن فقد عرف اسماعيل نفسه بالتقوى والاستمسك بالشرق وبرعايته للعلماء حتى قدم اليه كثير منهم من اماكن بعيدة ليستكملوا دراستهم في مدرسته او ليقضوا حياتهم في التأمل والبحث بدار كتبه التي حبس عليها الحبوس .

« ويحدثنا التاريخ عن يدعى حاشد الصوفي وكان اميرا عالي المقام بدمشق ، قدم بخارى ليقضي بقية ايامه في عزلة وتأمل ديني . وبقي هناك حتى مات عام ٨٠٩/٢٤٦ . وما غدا هذا الشعور القومي الذي بعث من جديد بابران في ظل السامانيين ، بالاضافة الى انعطافاته الدينية ، ان خطأ اول خطوة لاحياء اللغة الفارسية وآدابها من جديد ، فانتعش اللسان الفارسي المتناسق مرة اخرى في عهد نصر واسماعيل بعد ان كان حكام العرب قد حرموه على الناس لاكثر من مائتي عام . وعلى خلاف ما حدث عند شعوب آسيا التي دخلت في الاسلام في وقت متأخر فدخل في لغاتهم ، مع الثقافة الاسلامية ، قدر كبير من الكلمات والمصطلحات العربية ، فان الشعر الفارسي قد احتفظ اول الامر بنقائه تاما ، ذلك النقاء الذي هو سر الجمال في اشعار ابي الحسن الرودكي واغلب اشعار الفردوسي الخالد الفنائية .

« كان اسماعيل (او الامير اسماعيل على ما كان يلقبه المؤرخون الشرقيون باعتبار استقلاله الظاهر عن بغداد) هو الرجل الوحيد الجدير بهذه الحقبة المشهورة في تاريخ آسيا الوسطى . فلم يكن في شجاعته دون مؤسسي دول الصفاريين او الديلمية او البويهيين ، كما كان يشتهر فوق ذلك بتقواه وعدله ورحمته وميله الى العلم . ولقد ترامى الى سمعه ذات يوم ان جباة الخراج في الري يطففون بموازين ثقيلة زائفة ، فبعث برسوله من فوره لياتيه بتلك الاثقال في حرز الى بخارى ويوقف الجابي عن عمله ويغلق ادارته حتى تصب الاثقال على حقيقتها وتعاد الى هناك

« اشرنا من قبل الى كلف اسماعيل بتلك المدينة الواقعة على زرفشان وتفضيله لها على غيرها . وهو وان لم يستطع ان يبلغ بها ما بلغه تيمور ، مثلا ، بسمرقند ، الا ان ذكره سبقي ماثلة على الدوام في اذهان سكان بخارى الاصليين بوصفه الامير

العظيم الحقيقي الوحيد . ونذكر من بين المنشآت التي اقامها اسماعيل ، اولاً ، ذلك القصر الذي يقع على ريفستان . وكان قد شرع في بنائه اصلاً قبل الاسلام ، حتى جاء اسماعيل فقام بتوسيعه وزخرفته ليصير بذلك مقراً للامير الحاكم وكبار رجال الدولة . ويأتي من بعده قصر موليان الذي اقامه على ضفاف القناة التي تعرف بهذا الاسم في بدخ يليق بعظمة الامراء . ويشتهر هذا القصر بروعة بنائه . وكانت تحيط به الحدائق والمروج واحواض الزهر وفيها النافورات والفدران الجارية . وعانى اسماعيل مشقة شديدة لمدة بالماء الذي جلب اليه في قنوات اجرورها ، بدقة ، اليه من النهر الذي يجري بأعلى المدينة . كذلك مد اسماعيل اسوار المدينة وحصنها ، وكانت هذه قد بناها الحاكم ابو العباس الطوسي في عهد الخليفة المهدي .

« ويقال ان عدد المدارس الجامعة ببخارى كان في عهد اسماعيل يزيد على نظائره في كل مدن آسيا ، حتى لنرى بلخ وهي التي تعرف بقبة الاسلام ، لم تستطع ان تبرز لتنافسها الا بعد ذلك بكثير . واخذت هذه المدينة التي تقوم على شاطئ زرفشان ، والتي غدت قلب نصف آسيا الاسلامية ، تزدهر ويعلو قدرها يوما عن يوم بوصفها قصبة المال والعلم ومركز انتاج الحرير الدائع الصيت كذلك . ولقد جنى اسماعيل خير الثمار من وراء حروبه الطويلة وان لم يمتد به الاجل طويلاً لينعم بالملك ، فقد نزل به الداء في قصره الواقع على قناة موليان فنصح طبيبه ان يغادر المكان لرطوبته الى مصطاده في زرمان ، حيث وافاه الاجل به بعد قليل مساء الثلاثاء من صفر عام ٩٠٧/٢٩٥ . وهو في الحادية والستين من عمره ، بعد ان حكم اربعة وثلاثين عاماً قضى بضع سنين منها عاملاً لاختيه على بخارى ، وكان في باقيها حاكماً مستقلاً على القسم الشرقي من آسيا الاسلامية » .

الخاتمة

(١١)

لا نود ان نكثر من النقل عن الجغرافيين البلدانيين ما ذكروه عن مدن خراسان وما وراء النهر . فذلك من المتيسر الحصول عليه في مظانه (٣٩) . كما اننا لا نعتزم البحث عن الحياة العلمية في بغداد وحلب ودمشق وغيرها في عصر الفارابي ، فتلك امور كتب فيها الكثير الكثير .

ولكن الذي رمينا اليه من هذه العجالة هو ان نضع بين ايدي القارئ فكرة ، ولو مقتضية ، عن البلاد التي عاش فيها الفارابي الخمسين سنة الاولى من حياته ، وهي السنون التي كونت الاسس الاولى لشخصيته العلمية والفكرية وهيأته لان

يحب مما عرفته بغداد شعبه ، ثم يعكف على الكتابة والتأليف ، بحيث تبوا هذا المقام الرفيع في عالم الفكر الاسلامي .

فنحن اذا لم نأخذ برأي ولتزر بان الفارابي قد يكون عرف بغداد لما كان ابوه قائدا فيها (٤٠) . او برأي من قال بان الفارابي لعله اتصل بيوحنا بن حيان ايام كان هذا في مرو ، وهي رواية ضعيفة ، فنحن يتوجب علينا القول بان الرجل قد التقى الكثيرين من اهل العلم والمعرفة ، من المسلمين وغيرهم ، في هذه الرقعة الواسعة الممتدة من فاراب ، شمالي نهر سيحون ، الى بغداد ، على دجلة ، والتي كانت عامرة بالجوامع والربط والمدارس والديارات ومليئة بالمحدثين والفقهاء والفلاسفة والعلماء والتجار الذين كانوا يقدون الى مدنها من الصين والهند وتركستان وايران والعراق وغيرها . وكل واحد من هؤلاء كان يحمل معه آراء وافكارا ومعرفة .

والفارابي الطلعة كان يتزود من كل هؤلاء .

اما في اي مدرسة جلس على اقدام اهل العلم ، ومن هم شيوخه الذين نقل عنهم ، ومن هم معلموه من غير المسلمين ، فهي اسئلة لا يمكن الاجابة عنها في حدود ما بين ايدينا من المصادر .



الهوامش

(١) راجع مثلاً مصطفى عبد الرزاق - فيلسوف العرب والمعلم الثاني (القاهرة ، ١٩٤٥) ص ٥٥-٦٤ .
وقد ناقش روايات القدامى مناقشة علمية ووصل الى استنتاجات منطقية . سعيد زايد -
الفارابي (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ١٤ - ١٧ ، وهو يقبل آراء عبد الرزاق . ماكس مايرهوف -
الاسكندرية الى بغداد « في ترجمة عبد الرحمن بدوي - التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية
(القاهرة ، ١٩٤٠) ص ٧٨ - ٨٠ ، راجع كذلك

R. Walzer, al-Farabi in E. I.2

(٢) راجع مثلاً ابن أبي أصيبعة عيون الإبناء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا (بيروت ، ١٩٦٥) ص
٦٠٢ - ٦٠٩ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس (بيروت ، ١٩٧٢) ص
١٥٢ - ١٥٧ ، البيهقي - تاريخ حكماء الاسلام (دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٦) ص ٣٠-٣٥ ،
القنطري - تاريخ الحكماء (ليزرغ ، ١٩٠٤) ص ٢٧٧ - ٢٨٠ ، ابن النديم الفهرست (ليزرغ ، ١٨٧١) .
(٣) ابن حوقل صورة الارض (طبعة كرامر) نشر بيروت (لاتا) ص ٤١٨ . وابن حوقل هو الوحيد ،
فيما وصل الينا ، الذي ذكر ذلك على التخصيص .
(٤) يرى ر . ولترز ان الفارابي قد يكون ذهب الى بغداد قبل ذلك . راجع المصدر السابق .

(٥) W. Barthold - Turkestan down to the Mongol Invasion (London, راجع
1982), pp. 180-186; W. Barthold - Four Studies on the History of Central Asia vol. I (Leiden, 1956), pp. 1-17; Richard N. Frye - The Heritage
of Persia (New York, 1966), pp. 79-262; Gregoire Frumkin - Archaeology in Soviet Central Asia (Leiden / Koeln, 1970), passim; Gavin
Hambly (ed.) Central Asia (New York, 1969), pp. 19-62 ; C. G. F. Simkin - The Traditional Trade of Asia (London, 1968) pp. 1-61.

Simkin, pp. 2-7; Hambly, pp. 22 ff. (٦)

Barthold, Four Studies, I pp. 3-4. (٧)

Edgar Knobloch - Beyond the Oxus (London, 1972), pp. 52-53; Frye, ibed, (٨)
pp. 170-2, 194-204.

Simkin, pp. 29-38 (٩) راجع

Hambly, pp. 49-50; Frye, ibed, pp. 225-234. (١٠)

Simkin, p. 58 (١١)

Frey, ibed, p. 289 (map) and p. XV (notes) (١٢)

Simkin, pp. 63-73 وقد اورد المؤلف هناك مصادره ومراجعته فيمكن الاستئناس بها . (١٣) راجع

(١٤) المكان نفسه .

Frye - Bukhara (Norman, 1965) pp. 8 - 10.

(١٥) راجع

وكذلك ارمينوس فابري - تاريخ بخارى ، الترجمة العربية ، لاحمد محمود الساداتي ومراجعة يحيى الخشاب (القاهرة ، لانا) ص ٥١ .

(١٦) في سبيل الحصول على تفاصيل تتعلق بهذا الجزء من البحث ، يراجع : مقال ماكس مايرهوف المذكور انفا وكتاب فابري المذكور ص ٣٧ - ٥٦ ،

De Lacy O'Leary - **How Greek Sciences Passed to the Arabs** (London, 1948), pp. 19-95, 110-119; R. Segal - **Edessa, The Blessed City** (London 1973) pp. 149-152, 165-172, 210-212; Articles in E. I. Nishapur, Orfa, Samarkand and Tashkent and in E. I. 2 Balkh, Bukhara, Harjan and Khwarizm; Knobloch, op. cit., pp. 48-60; Glanville Downey - **Gaza in the Early Sixth Century** (Norman, 1963), pp. 99-162; Glanville Downey - **History of Antioch** (Princeton, 1961) pp. Richard N. Frye - **Heritage of Persia** (New York, 1966) pp. 205-262; Joseph Needham **Science and Civilization in China**, vo. I (Cambridge, 1954) pp. 170-214; E. H. Shafer - **The Golden Peaches of Samarkend** (Berkely & Los Angeles, 1963).

(١٧) يمكن العثور على تفاصيل تتعلق بالفتوح والدول التي قامت في المنطقة التي تعنيها في ، على سبيل المثال ، البلاذري - فتوح البلدان تحقيق صلاح الدين المنجد الجزء الثالث (القاهرة ، لانا) ص ٤٩٩ - ٥٢٩ ، فيليب حتي - تاريخ العرب مطول الطبعة الثالثة ، الجزء الاول (بيروت ، ١٩٦١) ص ٢٠٩ - ٢١٤ ، ٢٧٣ - ٢٧٦ ، الجزء الثاني الطبعة الثالثة (بيروت ، ١٩٦١) ص ٥٥٤ - ٥٥٧ ، ص ٥٤٩ - ٥٥١ ،

Barthold, **Turkestan**, pp. 180-235; Bertold Spuler - **Iran in Frueh-Islamischer Zeit** (Wiesbaden, 1952) pp. 3-132; C. E. Bosworth - **Islamic Dynasties** (Edinburgh, 1967) pp. 49-51, 99-111.

(١٨) راجع ، على سبيل المثال ، اليعقوبي - كتاب البلدان (لندن ، ١٨٩١) ص ٢٨٨ ، ابن حوقل ص ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، الاصطخري ص ١٦٧ .

(١٩) الاصطخري - المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني (القاهرة ١٣٨١ - ١٩٦١) ١٥٣ ، ١٥٧ ، ابن حوقل ٣٥٨ .

(٢٠) المقدسي - احسن التقاسيم (لندن ، ١٩٠٦) ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٢٩٣ .

(٢١) ابن حوقل ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢٢) ابن حوقل ص ٣٦١ - ٣٧٧ ، راجع ايضا الاصطخري ص ١٤٥ - ١٥٨ .

(٢٣) راجع وصف القبة عند الاصطخري ص ١٤٧ .

(٢٤) الاصطخري ١٦١ - ١٦٦ .

(٢٥) كي ليسترنج - بلدان الخلافة الإسلامية (الترجمة العربية من عمل بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤) ص ٤٧٦ .

(٢٦) راجع ابن رسته ص ٩٢ و ٩٣ ، الاصطخري ص ١٦٦ - ١٦٧ ، المقدسي ص ٣٠٣ .

(٢٧) الاصطخري ١٦٧

(٢٧) الاصطخري ص ١٦٧ - ١٨٦ .

(٢٨) راجع C. E. Bosworth - The Ghaznawids (Edinburgh, 1963) pp. 154-5, 206-9, 214 - 15;

احمد بن فضلان - رسالة ابن فضلان تحقيق سامي الدهان (دمشق ، ١٣٧٩ - ١٩٥٩) ص

٨٦ - ٨٨ .

(٢٩) المقدسي - احسن التقاسيم (ليدن ، ١٩٠٦) ص ٣٤٠ .

(٣٠) للحصول على تفصيل لورود الاتراك الى دار الخلافة ، وللإطلاع على المصادر الاصلية للاخبار ،

راجع زكريا كتابجي - التراك في مؤلفات الجاحظ (بيروت ، ١٩٧٢) ص ٩٣ - ١٨٤٤ .

Bosworth, pp. 211-13.

(٣١)

(٣٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان مادة مرو .

(٣٣) المقدسي ص ٣١٥ .

(٣٤) لسترانج (الترجمة العربية) ص ٤٦٤ .

(٣٥) ناجي معروف - مدارس قبل النظامية (بغداد ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣) ص ٦٩ - ٧٠ .

Bosworth, The Ghaznawids pp. 149-202; Spuler, op. cit. passim.

(٣٦)

Frye, Bukhara, pp. 50-100

(٣٧)

(٣٨) فانبري ص ١٠٥ - ١١٠ .

(٣٩) يمكن الرجوع الى الذين لم نقبس عنهم على الوجه الاتي :

نيسابور - ابن رسته ص ١٧١ ، المقدسي ص ٣٠٠ ، ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، مرو - يعقوبي

ص ٢٨٠ ، المقدسي ٢٦٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ - ٣١٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، هراة - ابن رسته ص ١٧٣ ، المقدسي

٣٢٩ ، ٣٣٠ ، بلخ - يعقوبي ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ . سمرقند - المقدسي ص ٢٧٨ . خوارزم - المقدسي

ص ٢٨٤ - ٢٨٦ . وهنا موضع للاشارة بكتاب لسترانج بلدان الخلافة الشرقية في ترجمته العربية .

فالؤلف اصلا اعتمد على المصادر العربية والاسلامية في وضع كتابه ، وقد قام المترجمان بنقل

المادة نقلا صحيحا دقيقا ثم علقا عليها بفوائد كثيرة لم يكن لسترانج قد وقع عليها لما نشر كتابه

في اصله الانكليزي (سنة ١٩٠٥) . والقسم الخاص ببحثنا من هذا الكتاب هو المشمول

بالصفحات ٤٢٣ - ٥٣٢ .

E. I. 2 (Farabi)

(٤٠) راجع مقاله عن الفارابي في